

العـدد ٣ ــ 3

آذار ١٩٧٩

لتعش الذكرى الخالدة ليوم الارض

AL-JADEED

אל-ג'דיד

PRICE 15 I.L. מחיר 15 ל״י

الثمن ١٥ ل٠ل

★ من الفــلاف الى الفــلاف ★

هيئة التحرير
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ (وادي النسناس)
ص. ب ــ ١٠٤
ت ــ ٦٦٦٦٤٨ (٠٤)

الادارة :
حيفا ــ الحريري ٩
ص. ب ــ ١٠٤
ت ــ ٥١١٢٩٦ــ٧ (٠٤)

تطبع في :
مطبعة الاتحاد التعاونية
حيفا
شارع الوادي ــ ٤٣
ت ــ ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

المحرر المسؤول :
المحامي حنا نقارة

هيئة التحرير غير ملزمة باعادة المواد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

موقع المادة من المجلة تفرضه الظروف الفنية ، ولا يعتبر تدريجا لصاحبها .

لوحة الغلاف : الارض
للفنان الرفيق عبد عابدي

❋ رأي الجـديد ❋

أيـام بيغن .. ويومنـا

❋ بعد التوقيع على مؤامرة « السلام » الفظيعة ، فى ساحة العشب الاخضر أمام البيت « الاسود » الامريكى تحدث مناحم بيغن رئيس وزراء اسرائيل فقال ان هناك ثلاثة أيام فى حياته لا يستطيع أن ينساها ..

اليوم الاول : يوم قيام اسرائيل .

اليوم الثانى : يوم وصل رجال المظلات الاسرائيليون الحائط المبكى فى القدس .

اليوم الثالث : يوم التوقيع على « اتفاقية السلام » ..

نحن نتفق مع مناحم بيغن على أن هذه الايام هى حقا أيام لا تنسى ، ليس بالنسبة له فحسب ، بل بالنسبة لنا أيضا ..

كيف ننسى يوم تشريد شعبنا وضياع حقوقه ؟

كيف ننسى يوم احتلال قدسنا العربية واتساع الجرح وتفاقم الكارثة ؟

وكيف ننسى يوم الخيانة ؟ كيف ننسى يوما يبارك فيه رئيس أكبر دولة عربية جريمة تمزيق شعبنا واغتصاب حقوقه ؟

بيد أن هناك يوما رابعا يحاول السيد مناحم بيغن نسيانه .. أما نحن فلا نستطيع أن ننساه ولا نستطيع أن نسمح للسيد بيغن أيضا بأن ينساه .. ذلك هو يومنا المجيد « يوم الارض » .. يوم الشهداء والارادة الصلبة التى ترفض الركوع أمام مخططات السلب والتهويد والتشريد .

لم يكن ما حدث فى يوم الارض صدفة شاذة بل كان حلقة من سلسلة محكمة وخطوة مدروسة من مسيرة الحركة الصهيونية وفقرة من برنامج متكامل سعى حكام اسرائيل المتعاقبون على تنفيذه وان لم يحالفهم فيه النجاح التام ..

ان سلب الارض العربية وتهويدها هدف رسمى فى اسرائيل وهدف ايديولوجى لم تتورع الصهيونية عن اعلانه صراحة وبلا مواربة على طول خطها العنيف .

واذا كان حكام اسرائيل لم يحققوا نجاحا كاملا فذلك لان الشعب العربى الفلسطينى لم يكن كله ذلك الاقطاعى رشيد بك الذى تخيله

ثيودور هرتسل فى كتابه « آلت نوى لاند » .. رشيد بك الذى يتخلى عن أرضه ، بكل سرور ، لتحقيق المشروع الصهيونى !!

فى الثلاثين من آذار عام ستة وسبعين وتسعمئة وألف تفجرت شرارة الدم من شرايين الغضب المتكدس دونما بعد دونم وشبرا بعد شبر ويوما بعد يوم منذ الحملة الصهيونية العنيفة على من تبقى من عرب فلسطين تحت الحكم الاسرائيلى وعلى ما تبقى من أرض هؤلاء العرب ..

لقد انتهك حكام اسرائيل المتعاقبون وما زالوا ينتهكون أوليات حقوق الانسان العربى فى هذه البلاد .. رغم قنابل الدخان الدعائية التى يفجرونها باسم « يهود الاتحاد السوفييتى » و « يهود الاقطار العربية والاسلامية » ، فان الحقيقة تظهر وتنتصر وتكتسب المزيد من الانصار والعارفين والموقنين على كافة أنحاء المعمورة .. وعلى ضوء الدم النازف على تراب الجليل والمثلث والنقب يرى العالم أدق قسمات الوجه البشع للسياسة الاسرائيلية تجاه المواطنين العرب ، ولا ريب فى أن القوى الدمقراطية اليهودية أسهمت هى الاخرى بقسط وافر فى عملية تعرية حكام اسرائيل من جبة الانسانية الزائفة التى طالما حاولوا التسربل بها لاخفاء خناجرهم الملطخة بدم الابرياء .

اذن ، يتحتم على مناحم بيغن ورهطه أن يمتثلوا لحقائق التاريخ .. وللتاريخ ذاكرة حادة تتوهج بحدة ذاكرتنا نحن الصابرين بلا يأس ، الصامدين بلا خوف ، المناضلين بلا كلل ، المتفائلين بلا حد ..

ثلاثة أيام لا ينساها بيغن ولا ننساها نحن أيضا .. ويوم رابع يحاول بيغن أن ينساه وان نسمح له بذلك ، أبدا ..

الجـديد

ملاحظات اميل حبيبى على مقال أحمد فرحان :

هل «الحزب الشيوعى الفلسطينى ضحية التطرف القومى المزدوج» ؟

❋ كانت مجلة « الكاتب الفلسطيني » ، التى تصدر فى بيروت ، نشرت فى عددها رقم ٦ (كانون الاول ١٩٧٨) دراسة بقلم احمد فرحان بعنوان « الحزب الشيوعى الفلسطيني ضحية التطرف القومي المزدوج » • وقد طلب عدد من قراء مجلة « الكاتب الفلسطيني » من رفيقنا اميل حبيبى الذى ورد ذكره فى المقال المذكور أعلاه أن يعلق على هذا المقال ويقدم رأيه فى المعلومات التى جاءت فيه بشأن نشاطه هو نفسه • وقد قام الرفيق اميل حبيبي ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعى الاسرائيلى بكتابة الملاحظات التالية :

لنبدأ بملاحظات عامة حتى ننتهى الى ملاحظات عينية :

فقد لاحظنا تعاظم الاهتمام ، فى السنوات الاخيرة ، بدراسة **تاريخ الحزب الشيوعى الفلسطينى** • حتى لا ينقضى شهر ، تقريبا ، الا ونتلقى فيه رسالة من طالب جامعى فلسطينى ، من حيثما القى عصاه ، يطلب فيها معلومات او تصحيح معلومات عن الحزب الشيوعى الفلسطينى •

ولا يقتصر الامر على الجامعيين الفلسطينيين • فنحن نعرف عن العديد من اليهود ، الاسرائيليين وغير الاسرائيليين ، انهم جعلوا من تاريخ الحزب الشيوعى



❋ أميل حبيبي ❋

الفلسطيني موضوع اطروحاتهم • وبعضهم ترجمت دراسته الى لغات اوروبية وامريكية شمالية لكى يستفيد منها غير المؤرخين ايضا •

فكيف نفسر هذه الظاهرة ؟

اننا نرى فى هذه الظاهرة ــ مستثنين منها الدراسات « **المباحثية** » ــ ظاهرة ايجابية • وذلك لاننا نعزوها الى اقتناع الاجيال المتنورة الجديدة بفشل الايديولوجيات والممارسات القديمة ــ **القومية**

البرجوازية ــ في ايجاد حل **للقضية الفلسطينية** ، المزمنة والماساوية . فأمام اعين هذه الاجيال ، وفي عمرها ، قامت الرجعية العربية الحاكمة في عدد من الاقطار العربية ، ممثلة بانور السادات ، بدورة حتمية كاملة : **من رفض الحلول « غير القومية » حتى الخيانة القومية الفعلية .**

ولا تنطلي على هذه الاجيال المتنورة الشابة محاولات زملاء السادات ، طبقيا وايديولوجيا ، غسل ايديهم من دم القضية الفلسطينية ، الان اصبح واضحا انه ما من شيء خارق او غير طبيعي في طريق انور السادات . انما هو الحصيلة الطبيعية لعدم قدرتهم ولعدم رغبتهم (الطبقية) في الانطلاق من دائرة « الوساطة » الامبريالية والممارسات القومية البرجوازية .

ويقينا ان المسؤول الاول والاساسي في ظهور الماساة الفلسطينية وفي استمرارها الان حوالي نصف قرن هو الامبريالية والصهيونية . ولكن الموضوع ، الذي تجري معالجته الان ، هو غير ذلك . ان السؤال المطروح في اذهان الجماهير واوساطها الوطنية هو : **كيف لم تنجح هذه القيادات القديمة في التصدي لهؤلاء الاعداء وفي وضع حد ولو جزئي لماساة الشعب العربي الفلسطيني العريق ، الذي لم يبخل بدمه في يوم من الايام ، في حين استطاعت شعوب اخرى ، بقيادات اخرى ابعد افقا من عائدات نفطية ومنافع نفعية ، ان تنتزع حريتها ؟**

ولذلك نعزو هذه الظاهرة الى قيام الاجيال المتنورة الجديدة بالبحث ، ولو بدافع المثل السلبي ، عن الطريق الاخر ، **طريق الوطنية البروليتارية (ونسميه : الاممية البروليتارية) الذي ثبتت نجاعته في حل القضايا القومية في انحاء العالم الاخرى.** ان تعاظم الرغبة في دراسة تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني راجع الى تعاظم الشعور بان « **الحجر ، الذي رفضه البناؤون ، اصبح راس الزاوية** » !

ولنا ، في الوقت نفسه ، مأخذ على هذه الدراسات . واهمها ، كما لاحظنا ، ان غالبية هؤلاء الباحثين (وهناك ، بالطبع ، استثناءات قيمة) تبحث عن « الطريق الاخر » ، طريق **الوطنية البروليتارية** ــ الاممية البروليتارية ــ دون ان يكون واضحا لها الامر الاساسي الذي يميز هذا الطريق عن الطريق القديم ، طريق **القومية البرجوازية** ، الفاشل . ان العيب الاساسي ، في غالبية هذه الدراسات ، ان اصحابها **يبحثون عن « الطريق الجديد » في معالجة القضية الفلسطينية دون ان يتخلصوا من مفاهيم القومية البرجوازية الضيقة .**

نحن ، **الماركسيين اللينينيين** ، نسمي وطنية الطبقة العاملة وغيرها من الفئات المحرومة : **الاممية البروليتارية** . ونرى ان الاممية البروليتارية هي الامر الاساسي الذي يميز « الطريق الجديد » ــ البروليتاري ــ من الطريق القديم ، البرجوازي .

ولا ضرورة لان يهولنا هذا التعبير ــ الاممية البروليتارية ــ مثلما كان الاقدمون تهولهم ظواهر فيقدمون لها القرابين . يقينا انه ما من شعب ، منذ الحرب العالمية الثانية ، قدموه قربانا لمثل هذا الجهل الجاهلي كما قدموا الشعب العربي الفلسطيني !

ليست الاممية البروليتارية امرا مجهولا او خارقا. وليست نقيض الوطنية الصادقة انما هي ارتفاع بهذه الوطنية الى اسمى معانيها ــ الاخلاقية والسياسية في وقت معا . وكان **هو شي منه** يؤكد دائما ان **اخلاصه لقضية شعبه ووطنه هو الذي قاده الى تبني الماركسية ــ اللينينية والاممية البروليتارية .**

وفي اول برنامج للشيوعيين ــ **«البيان الشيوعي»** ــ اوضح **ماركس وانجلز** عمق الخيانة الوطنية التي يرتكبها النظام الراسمالي ، كل نظام راسمالي استغلالي ، حين يجرد العمال (البروليتاريا) وكل الكادحين المعدمين من جميع خيرات الوطن ــ المادية والثقافية والروحية ــ حتى يشعروا بالاغتراب في وطنهم وبانه « لا وطن لهم » . وتاتي الكولونيالية والامبريالية ، فيما بعد وبكل ما فيهما من حملات الاستيطان الابيض والتشريد والحروب والاحتلال وابادة الشعوب ، حتى تجعل **المعدمين اقتصاديا معدمين وطنيا ايضا** . ان هذه الجريمة التاريخية الكبرى هي التي تحدد وطنية الراسماليين والكولونياليين والامبرياليين من جهة ووطنية الاكثرية الساحقة من المعدمين . ففي حين تكون وطنية الفريق الاول مقتصرة على المصالح المادية المعينة والضيقة للفريق الاول وعلى حساب شعبه نفسه والشعوب الاخرى فان وطنية المعدمين ، الذين ليس لهم في الوطن من ملك خاص حتى ولا القبر الخاص ، لا يمكن الا ان تشمل الوطن كله : اما ان يكون او ان لا يكون ، واما ان يكونوا فيه او ان لا يكونوا ! ومن هذا المنطلق الوطني الشامل **انطلقت صيحة فيدل كاسترو : الوطن او الموت !**

واذكر في تفسير هذا الامر واقعتين : **الاولى** ــ ما كنا نسمعه ونقرؤه في زمن الانتداب البريطاني في فلسطين من حجج كان الزعماء العرب الرجعيون يلتجئون اليها لتبرير استئثارهم بقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية . فكانوا يقصرون هذه القيادة ، جهارا ، على « **اصحاب المصالح الحقيقية في البلاد** » . هذا كان تعبيرهم بالضبط . فمن هم ، في رايهم ، «**اصحاب**

(البقية على ص ٤٦)

تعريفهم حتى بالدين واصوله ودعوته المسلمين الى عدم قبولهم باحتلال ارضهم ، كل ذلك ممنوع ، حتى الشعر الانسانى الذى يهذب مشاعر الانسان ، ممنوع ، كل ماهو فى صالح الانسان الفلسطينى وما يتعارض مع السياسة الصهيونية فهو ممنوع ، وحتى قصص الاطفال التى تدعو الى احترام الجندى الشجاع ، والانسان الذى يحب وطنه ، والفلاح الذى يتشبث بارضه ، كل ذلك ممنوع ، لماذا ؟ ويحملونه على التفكير بامور اخرى غير وطنه وارضه وشعبه ، استكمالا لمخطط طمس الشخصية الفلسطينية وتذويبها .

نرفق هنا نموذجا للكتب المرسلة من قيادة الضفة الغربية المحتلة وفيها نماذج لما ورد سابقا ، وكنا نود لو كان بالامكان ارفاق اسماء الكتب الممنوعة كاملة ، ولكن ضخامةعدد الكتب الممنوعة حال دون ذلك ، ولكننا نحتفظ بها لمن اراد الاستفادة منها .

وتاتى الانظمة التى يطلق عليها انظمة الطوارىء الصادرة من قبل سلطات الانتداب البريطانية على فلسطين عام ١٩٤٥ ، لتضيف مبررا قانونيا تتذرع به سلطات الاحتلال كلما ارادت تطبيق انظمتها ، من ذلك مثلا الاعتقالات الادارية ، وسياسة هدم البيوت التى وصل عددها فى المناطق المحتلة قرابة العشرين الف منزل قامت سلطات الاحتلال بهدمها ما بين عام ١٩٦٧ — ١٩٧٨ ، كذلك تتذرع سلطات الاحتلال احيانا بالقوانين الاردنية ولكن ذلك لايكون وسيلة للتبرير الا فى حالة رؤية سلطات الاحتلال لهذه القوانين والانظمة وقد تطابقت مع مصلحتها مثال ذلك فهى على استعداد لمنع الكتب التى ترى فيها دعاية للفكر التقدمى بحجة انذلك انما هو دعاية شيوعية ، والقوانين الاردنية تمنع ذلك . وكان ذلك التبرير ما ورد بحق جريدة « الطليعة » المقدسية التى يرئس تحريرها الصحفى التقدمى بشير البرغوتى ، وقامت بالتالى بمنع توزيعها فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، رغم انها تتعرض للرقابة العسكرية شانها شان بقية الصحف العربية ، الصادرة فى مدينة القدس .

واورد هنا الصعوبات التى تضعها الرقابة امام بعض الصحف العربية والتميز الفاضح بين الرقابة على هذه الصحف والصحف الاسرائيلية والذى يصل احيانا الى عدم تمكن صدور الصحيفة فى اليوم التالى ، كما حدث لجريدة الطليعة فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٧٨ ، مما دفع رئيس تحريرها الى اعلان الاضراب احتجاجا على الرقابة .

اما القضية الاخرى فان من الصعوبة بمكان ان يحصل المواطن الفلسطينى فى ظل الاحتلال حتى على ترخيص لاصدار مجلة او جريدة ، واذا حصل فانه يمنع من توزيعها فى المناطق المحتلة بموجب قوانين الطوارىء السيئة الصيت ، وقد حدث لمجلة «الشراع» التى يرئس تحريرها الصحفى مروان العسلى من القدس العربية ان منع توزيعها فى المناطق المحتلة حال صدورها .

بتاريخ ٧ \ ٤ \ ١٩٧٨ تقدمت * بطلب لوزارة الداخلية الاسرائيلية للحصول على ترخيص باصدار مجلة ثقافية ادبية تحت اسم « الكاتب » وقد انتظرت ستة اشهر دون جدوى ،وحين سألتهم محاميتى المناضلة الشيوعية فليتسيا لانغر ،كان جوابهم ان المذكور ممنوع من الحصول على رخصة اصدار مجلة بموجب قوانين الطوارىء ، وهذه حوادث تكاد تكون يومية ، وهى امور طبيعية ، طالما ان الاحتلال الاسرائيلى ما زال قائما والقضية تحصيل حاصل ، وليست هذه الممارسات اليومية الا لتحقيق ما يهدف اليه الاحتلال الصهيونى . الهدف هو احتلال الارض بدون انسانها الفلسطينى واذا عجز عن تحقيق شقى المعادلة فلتكن الارض وعليها الانسان بالصورة التى يريدها الصهاينة ، بعد ان تجرده من كل مايعزز انتماءه لوطنه وقوميته ، وللحقيقة اقول ، قد تستطيعون تحقيق الشطر الاول من المعادلة الى حين ، ولكن لن يستطيعوا بحال من الاحوال تحقيق الشطر الاخر .

---

* ـ اسعد الاسعد .

نموذج لأوامر الكتب المحظورة

مديرية التربية والتعليم
للواء رام الله
الرقم : ٥٠/٧٠/٤٤٤٤
التاريخ : ١٩٧٥/٨/١٩ م
الموافق : ١٣٩٥/٨/١٢ ﻫ
مديري ومديرات مدارس اللواء المحترمين
الحكومية والخاصة والوكالة

الموضوع : الكتب الممنوعة

بعد التحية ،

جاء من ضابط قيادة جهاز التربية والتعليم ان الكتب المدرجة ادناه يمنع استيرادها وطبعها وحيازتها ونشرها في المنطقة بناء على اوامر صادرة من الرقابة . على جميع المدارس الحكومية عمل مستند اخراجات ل ٩ بالكتب الممنوعة ان وجدت لديها وارسالها الى هذه المديرية ذاكرين في المستند الى السلطات .

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
١	الدبلوماتي	د. حسن صعب	بيروت / دار العلم للملايين
٢	من فلسطين واليها	محيي الدين الحاج عيسى	حلب
٣	الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل	مجيد الدين الحنبلي	مكتبة المحتسب عمان/٧٣
٤	اسرائيل باطل يجب ان تزول	الزبيرغر	بيروت
٥	انا عائد من اسرائيل	ابراهيم عزت	بيروت
٦	بلفور المؤامرة التاريخية	عرفات حجازي	–
٧	الوحدة وقضية فلسطين	ناصر الدين النشاشيبي	–
٨	اليهود في تاريخ الحضارات الاولى	غوستاف لوبون – زعيتر عادل	القاهرة
٩	مواكب الشهداء	جمال سليم لويهض	القدس
١٠	الماسونية	محمد علي الزعبي	بيروت
١١	صوت فلسطين	عرفات حجازي	عمان
١٢	شعب الله المختار	حلمي محمد نجم	مصر
١٤	بلادنا فلسطين	علي احمد باكثير	القاهرة
١٥	العلاقات الدولية	مصطفى مراد دباغ	بيروت
١٦	جغرافية العالم العربي	دكتور محمود طه ابو العلا	القاهرة
١٧	جغرافية الوطن العربي	دكتور عبد الفتاح محمد وهيبه	بيروت

امين حافظ الدجاني
مدير التربية والتعليم

* عصـــام خـورى *

علـى الطريـق بيــن حيـفـا و عـكـا

* قصـة *

لانى كنت مسترخيا فى هدوء وليس على جسمى سوى ملابسى الداخلية لحظت اصطكاك ركبتى بوضوح .

— لم اعد اعى شعورى السائد بالضبط ...

— انحشرت احاسيسى فى زاوية غير هندسية ومثل الضباب صرت ... الحقيقة والوهم معا .

— كان لا بد ان اتحرك بسرعة لان الموقف لا يحتمل اى تاخير او ميوعة ، ولكنى كنت احتاج الى فترة قصيرة لاسترداد توازنى وللتاكد من ان الطاولة الرخامية فى مكانها والكنبة فى مكانها والمزهرية لا ترقص والوجوه فى لوحة بيكاسو على الحائط لم تختلط الوانها ...

— اثاث البيت يرقص .. اذا لم اخطىء التحديد ، فكل الاشياء تتمايل .. تتحرك .. ربما البيت بمجموعه ايضا ..

— اغمض عينى بشدة وافتحهما برفق ، للتاكد .. للتاكد فقط كما ذكرت ...

— انه الاشماع فى لحظة خلق ...

— كنت بحاجة لهذه الفترة القصيرة حتى لا ارتطم باحد هذه الاشياء عندما اتحرك ..

— ماذا بك جننت ، هل تريدها ان تلد فى البيت ؟!؟؟

— سجبنى الصوت من داخلى حتى الاشتداد وتفضنى واقفا !! وصرت ادور بشكل آلى جدا ولكنه محكم ودقيق .

— زوجتى توشك ان تلد !!

— عرفت الخوف فى الوجوه والقيته مرات عديدة ، اما مثل هذا الخوف المختبىء داخل عينى زوجتى فلم التق ...

— هل انت خائفة ؟؟؟ ابدا لا تهتم !!؟؟

— هل انا خائف ؟؟؟ ابدا ؟؟ ابدا ؟؟

— هل تحسين بالم ؟؟ يذهب ويرجع ، لا عليك !

— هل ذهب الان ؟؟ ذهب !!

— هل تحسين انه سوف يرجع ؟؟ احسه !!

— حبيبتى .... !!

— كانت رهبة الموقف تجعلنى رغم كل شىء اغيب لحظة .. احلم .. ثم استرد وعيى واخاف .

— يجب ان تحاولى الوقوف حتى استطيع ان البسك الثياب كى نسافر الى المستشفى !

— سوف انهض !!

— وانا ارتدتني ملابسي او لست ادري كيف ادخلت فيها .. !
— ترقبنا الفرصة المناسبة وانتظرنا حتى ذهب الالم واخذنا ننزل الدرج بحذر يدها اليمنى فوق كتفي ويدي اليسرى تحت ابطها احاول ان اجعل اكثر وزنها عندي .
— فكرت ان احملها لكن خوفي ان احدث ضررا ردني .
— انت بخير ؟؟
— نعم لكني اخشى ان احس شيئا قبل ان تصل السيارة !
— وفي الحقيقة كنت قد سالت للسبب نفسه .
— حاولت ان نتعجل لنقطع ممر الحديقة العامة الذي يبعدنا عن السيارة لكن خطواتنا لم تتعد البطء .
— طلبت زوجتي ان تستريح قليلا ..
— وكانت فترة من الرعب .. مت رعبا ...
— تصورت الطفل .. طفلنا يسقط في الشارع ... وتخيلت له ان يسقط في السيارة على الاقل ....
— لم انس ان احاول عدم اشعارها بما افكر .
— في لحظات من هذه النوعية في الدقة يصبح المرء شيئا آخر ، مختلفا تماما ، واحدا لا يعرف نفسه من قبل ، تفاجئه ذاته ويفاجأ بها .
— هل ترتعد ؟؟
— ابدا ! وهل تمهدينني ارتعد ؟؟ .
— ولكنك لم تعرف هذا من قبل !
— ولو !
— هل بقي الكثير !
— لا تهتمي وصلنا !

— افتح بسرعة ارجوك اريد ان اجلس !
— اخرجت رزمة المفاتيح من جيبي ، حاولت ان ادخل المفتاح الاول في الباب ولم يكن هو ... احسست الالم في معدتي ثم في كل بطني وخيل لي باني سوف الد ... المفتاح الثالث انقذني ، فتحت الباب واقفلت بطني ...
— دخلت زوجتي السيارة ، جلست بحذر ، كان وجهها شاحبا وقد استعادت قليلا من قوتها وقل توترها حتى بدت مرتاحة . انتابتنا فترة صمت قبل ان ادير المحرك وكاننا انهينا المشوار .

— ماذا تريد ؟
— ابتسمت ابتسامة حلوة ... حلوة ...
— اريدك انت !
— وماذا ايضا ؟
— ليس مهما !
— لا توارب ! ولد او بنت ؟ اي .. آي ... !!
— ادرت المحرك واتجهنا في السيارة الى الجنوب كي نصل الشارع الرئيسي في عكا حيث نخرج منه الى شارع عكا — حيفا .
— كان مساء السبت وكان الناس في طريقنا الى وسط البلد قلة ولكني رغم قلتهم رايتهم جميعا يترقبوننا بدهشة واستطلاع كانهم يعلمون ما نحن به من لحظات حرجة وان سيرنا هذه الليلة سوف يقف عند منعطف حياتي كبير .

— اما في الشارع الرئيسي فان هذه القلة من الناس كانت تبدو معدومة تقريبا لانه اكبر ، وكانت الحوانيت مقفلة وواجهاتها مضاءة ، وكان لمرورنا صوت له اثر خاص وصدى مدو .
— في نهاية الشارع عند التقاطع اثارتني الشارة الضوئية الحمراء وقررت ان انتبه الى كل الجهات وان لا احترم القانون .
— على مهلك يجب ان نصل المستشفى ونحظى بمولود لا ان نفتعل حادثا !
— لا تخافي اني يقظ ، عليك ان تستريحي !
— وانعطفنا يمينا باتجاه حيفا ولولا انات خفيفة من زوجتي لما تذكرت باني لا ازال داخل البلد واسير بسرعة كبيرة .
— بعد ان قطعنا جسر النعمين فكرت ان اضغط على مفتاح المذياع لاشغل نفسي واشغلها .
— « ثلاثة مخربين قتلوا على الحدود الشمالية في اشتباك مع قواتنا ولم يصب احد من قواتنا باذى » .
— اقفلت المذياع وزدت السرعة .
— ماذا بك ؟
— لا تخافي !

— وانطلقت بنا السيارة من غير حساب حتى اننا خلال دقائق قليلة جدا قطعنا منطقة المصانع بعد الجسر والمدرج الرياضي وقرية الفولاذ .
— كم نحتاج من الوقت بعد ؟
— لا تهتمي ربع ساعة بالكثير !
— هل تحسين بالم ؟
— ليس كثيرا .. انتبه !!
— حاولي ان تفكري بموضوع آخر !
— آخ .... احس بالطلق .. !! ..

— ضغطت برجلي بقدر ما استطعت وما ان وصلت المنجرة القديمة قبل معسكر الجيش الانكليزي بقليل ومن دون سابق انذار وجدت نفسي امام سلاسل من المسامير واضواء حمراء على الشارع .
— حققت النظر ، كان يقف رجلان يحملان اسلحة اتوماتيكية ويشيران الى ان اقف جانبا بقرب مجموعة اخرى من الرجال المسلحين .
— فهمت انها نقطة تفتيش ووقفت .

— اكلنى الغيظ ووددت لو استطيع تنجير كل ما هو امامى ، اثار غضبى اكثر ذلك التململ الذى يتصنعه احدهم حتى وصل الى .

— لماذا انت مسرع هكذا ؟
— لان زوجتى سوف تلد !
— الى اين انت ذاهب ؟
— الى حيفا !
— الى اين فى حيفا ؟
— قلت لك ان زوجتى سوف تلد ، الى اين يمكن ان اذهب الى المسرح البلدى ؟
— سالتك الى اين ؟ اجب !
— الى مستشفى روتشيلد !
— آخ ... آى ... افهمه .. يجب ان .. نمشى .
— علينا ان نمشى ، انها تتالم خذ اوراقى الخاصة او بطاقتى وودعنا نسير !
— يجب ان نفتش السيارة ونستجوبكم !
— ولكنى اقول لك بانها حامل وسوف تلد الا ترى ؟
— ولكن المخربين من الممكن ان يكونوا مع حامل ايضا !
— ان كل مخرب حامل منذ زمن طويل !
— ماذا تقول ؟
— ليس مهما دعنا نسير !
— آخ ... آى ... آى ...
— دعنا نسير !
— يجب ان نفتش !
— آى ..... آى .....
— سوف تلد !
— لن تلد لا تخف !
وابتداوا بفحص السيارة من الاسفل والامام .
— آخ ... آخ ...

— لا تخافى سوف ينهون بسرعة !
— انزل وافتح من الخلف !
— وبعد ان فحصوا صندوق السيارة الخلفى اخذوا ينظرون بتدقيق فى الداخل .
— وهى الا تريد ان تفتشها ، ربما كانت حبلى بالمتفجرات او القنابل ؟! ..
— اخرس .. كلكم مخربون !
— آى ... آى ...
— يجب ان نذهب .. الا تفهم ؟
— اذهب !
وانطلقنا بعد ان فقدت السيطرة على معظم اعصابى ، بسرعة لم اشعر بها مررنا عن كل المستوطنات والمؤسسات الصناعية على الطريق ودخلنا مدينة حيفا . اختصرت الدرب ، لم ادخل قلب المدينة ، اخذت السير فى الشوارع الجانبية المحاذية للهدار وصعدنا الكرمل لنصل الى المستشفى الراكن فى سفحه .

— نزلت زوجتى من السيارة بمساعدتى ، ومع كل خطوة دهر من الخوف كان يسرى من عينيها الى اعضائى .
— من خلال الخوف ، بين الفينة والاخرى كنا نتناقل بعض الكلمات .
— لا تخف بعد قليل سكون تكون ابا !!
— لا تخف بعد قليل سوف تكونين الدنيا !!
— ولكنه صعب ومرعب !!
— احبك !!! -
— طلبت المصعد الكهربائى ودخلنا مباشرة الى غرفة الولادة .
— اذا كان ولدا اريده ان يحمل اسم والدك !
— واذا كانت بنتا اريدها ان تكون ميسلون !
— لسوء الحظ كانت صرخات الم ممزقة تخرج مصطدمة بالجدران من الغرفة المجاورة .
— كان هناك ضابطا ينتظر خارج الغرفة .
— ارتديت المريول الابيض وهممت ان الحق بزوجتى الى الداخل .
— ماذا بك ؟ الى اين تذهب ؟
— ان زوجتى حامل وسوف تلد واريد ان اكون بقربها بناء على طلب سابق من الاطباء !
انك مجنون كيف تفعل هذا ؟
— انه جنونى !
— ولكن زوجتى حامل ايضا وهى فى لحظات الولادة !
— انك لم تعرف معنى الحمل الحقيقى ، ان ما لدى هو حمل ثلاثين عاما !!
— ابتسم الضابط ، حاول ان يستوعب ... كشر عن انيابه ، ودخلت .
— لم ارتعش ولم احس بعدم الارتعاش .
— كانت غرفة الولادة ... عالما آخر .. وزوجتى ملقاة على السرير بين الآلات والوشاحات البيضاء . اقتربت منها ، اتلمس ، ادقق ، واحن اليها ، اختلطنا نحن والوقت ، ذبنا فى شىء غير مرئى ؛ غير محدود ، نحن الوقت والوقت نحن ، نحن الالم والاجهاد والعرق ، نحن الولادة .
— لم ارتعش ..!
— زوجتى غائبة تماما ، لم يبق منها غير تمتمات غامضة واَنات وجسد ينتفض ويسكن ولم ارتعش .
— اجمع قواى بيدى اليمنى ، اشدها الى الامام ، اتركها لحظة للهدؤ وبنفس اليد اجفف عرقها وبيدى

(البقية على ص ٣٨)

❋ عبد الله تايه ❋

الحجرة رقم ٣

❋ قصة ❋

كنت تحدثني دائما عن طفولتك التي تضيتها في قريتكم قبل الرحيل ؛ وكنت تحدثني عن والدك الذي واجه الدبابة بالنبوت فصرعته الطلقات ، وتطهر الحديد بالدم القاني .. حكاية مشوقة حكيتها لي كثيرا ولم اكن امل منها . كبرنا معا في المخيم . وانهينا دراستنا معا . وجاءت الحرب فهزمنا معا . دخت انا بين الكتب ابحث عن اسباب هزيمتنا .. وانت ادمنت الهروب .

حدثتني عن امنيتك بان تصبح جلادا لتقطع يد السارق ، قلت لك يومها لا احبذ صداقة الجلادين ، فامتعضت مني وكدت تقطع علاقتك بي .. ثم ندمت انت . وشغلك جمع المال ففضلت ان تغادرنا الى الكويت . في رسائلك الكثيرة لاتنفك تحكي لي عن اللون الاحمر . اللون الاحمر الذي تتحدث عنه ليس هو اللون المسكوب من جثة والدك ، ولم يكن لون الطماطم شبه الفائتة التي كنا ناكلها ايام الطوق .

اللون الاحمر الذي تتحدث عنه مختلف تماما . الم تقل انك تصيف على شواطىء بيروت والاسكندرية؟! اذن دعني احكي لك هذه الحكاية عن اللون الاحمر . فانا اعمل ممرضا في مستشفى ناصر بخانيونس ،وكنت اود لو اتيت لزيارتنا في الصيف الماضي ، فقد اصبت في حادث وكدت اموت واوصيت بافضل كتبي لك . انني احترمك منذ ذلك اليوم الذي تعرضنا فيه انا وانت للاعتقال والضرب لاننا اشتركنا في المظاهرة التي حدثت قبل سفرك الى الكويت .

اتذكر حين حرق المتظاهرون علم الامم المتحدة واستبدلوه باخر . اشتعل الناس حماسا فصاروا يهتفون وآذانهم صارت حمراء .. بقمة الدم ، والاذان الحمراء ذكرتني بالحكاية ..

❋ ❋

انفجار . بوق سيارة اسعاف يلعلع في شؤم . انتفض مركز الاستقبال . هرع الممرضون ينقلون المصاب . شخصت في الوجه الذي يسح فوقه الدم فاختفت ملامحه . عربة عسكرية توقفت بجوار سيارة الاسعاف . اضطرني احد الجنود للانتقال معه عدنا . تركته واتجهت الى الحجرة رقم ـ٣ـ حيث نقل المصاب اليها فوجدتها محاصرة . حين دخلتها لاحظت انها قد اخليت من المريض الوحيد الذي كان نزيلا فيها ، ثمة سرير واحد استلقى عليه المصاب النحيف الذي لايكاد يشغل حيزا عليه ، وقد تحول وجهه المدمى الى كرة من القطن . تقبت اللفائف امام طاقتي الانف ، والفم . مجموعة من الانابيب تنقل الدم والسوائل ، الجنود ينتشرون في انحاء الحجرة والعنبر شاهرين بنادقهم .. لم ينبس احد بحرف . انظارهم نحو المداخل . وساد هرج بين نزلاء المستشفى .. تساءلوا .. ماذا يحدث في الحجرة رقم ـ٣ـ ؟ ازدحام غير عادي . جنود وممرضات واطباء وعمال ومرضى . بعض الحاضرين في الحجرة اهتموا بالمصاب فوق الحدود ، كانوا يتحدثون بلكنة غريبة ويصمتون . انبوب آخر للبول استقر تحت السرير . بدات قطرات البول تتجمع قطرة قطرة . والدم يتسرب عبر الخرطوم في الشريان قطرة . قطرة . صدره يعلو ويهبط . المصاب متكوم يكاد يكون نصف انسان . بدا نحيفا جدا . بعض الاوراق في يد احدهم . شاهدت بطاقة هوية كتبوا .. محمود خير الدين ؛ من مخيم ....

ـ ادفع العربة بعيدا .

امر الطبيب . دفعت العربة وخرجت . رائحة الادوية امتزجت بالدم بالبول بالجولوكوز بالقرف بكل الموبقات ، والمرضى يتهامسون عن اختراق حرمة المستشفى ؟ وعن المصاب ؟ وعن رحلة العذاب في الفوهات المحلقة في المداخل والنوافذ . وحين عدت كان علي ان اراقب المصاب . بدأ الجميع في الخروج ما عدا الفوهات المنصوبة ، وخطوات الحراس .

كرة القطن تمتد وتمتد . تضغط على عنقي كحد الخنجر ، تدور في انفي كل الروائح . تطالعني كل اعمدة الصحف ، ونشرات الاخبار ، ابحث عن محمود خير الدين هذا . وظلت الكرة الثلجية تتشقق وتنفجر في وجهي .. اصحو وافيق . افيق واصحو . هذا

رجل خطير . بل يكفي ان يكون رجلا . تطلعت الى اعلى خرطوم الدم . كانت قطرة دم تسحل .واصطدمت عيني في ذات اللحظة بقطرة بول تنحدر . البول والدم. البول . النتن ، العفن، الدود ، الفناء ، التلاشي . الدم ، المطر ، المسك ، الحياة ، البقاء .

محمود خير الدين غادر غزة الى القاهرة ، الى ميناء جده . ثم الدمام . يبحث عن اللقمة ، وجدها في عين الشمس . حاول ان يصعد اليها مرات . فشل كثيرا . فامتهن الحلاقة . صار يجوب الشوارع ويصيد لقمته عنوة . لعب الحظ ذات مرة . دخل بيت سيد منهم . فعل اللواط كاد ان يحدث . هرب . طارده السيد . فشل في العثور عليه . كان يريد ان يدعى بانه سرق وذهب ليقتص منه بقطع يده . اما هو فقد احتجزته الشرطة ذات مساء بعد ان شاهدته ولم يكمل حلاقة راس بين يديه في حارة شعبية فقيرة . وتم ترحيله الى جدة ، فالسويس ، فالقاهرة ، فالقنطرة، فمخيم خانيونس .

بطاقة الاعاشة مازالت هي المورد . تضخم من داخله الحقد ، على الاسلاك ، والحدود والتصاريح، وجوازات السفر ، والتكنات المملوءة بالكلام ،والزعامات الورقية ، فجلس يحثو على راسه الاحزان حتى ضربت المطارات والقطارات والمدن . وساح الدم الوردى قليلا . وتراجعت فرق . وتقدمت فرق . وتوقفت السفن عن الابحار في قناة السويس . كان حزيران . العصافير التي ولدت في حزيران كانت بلا صوت . خرساء بكماء . وكبر اولاد محمود خير الدين ممزوجين بالالم ، والجوع ، والمهانة ، رجموا حجارة ذات مرة على عربة . تصاعدت اصوات رشقات . وقع الولد سابحا في بركة من الدم . مات . والفرح في قلب محمود خير الدين اجتث . استلقت الكائنات على قفاها ، وقالت : للقادمين انكحوا كما طاب لكم . لكن لحين . نكحوا . ارعشوا . ثم اهتزت كل الكائنات . انفجارات . دم حرائق . ليل . رجال . معدات . موت . جراح . طوق . حب .وظل ينتظر الاعاشة كل شهر وبيده البطاقة ، مرات كثيرة تسلمها تحت وقع الخوف والنيران . نام شوال الدقيق فوقه ذات مرة وهو يسرع خوفا ، فتحطمت ساقه . شهور مرت حتى التئم الكسر . وتدفق العمال الى الداخل تحت فشل صناديق الدعم في مؤتمرات الطعام والولائم . وتحرك محمود خير الدين يبحث عن اللقمة في الداخل . مرت عليه سنوات . لايمر شهر بلا عراك حتى كان يوم تسلم فيه ورقة الفصل من العمل للمرة العاشرة . لم يعد عنده فرق بين السيد الذى حاول ان يرتكب معه فعل اللواط ، وبين الذى سلمه ورقة الفصل ، والشرطى الذى احتجزه واجبره على المغادرة عن طريق ميناء جدة ، وبين الجندى الذى فتشه حتى المهانة عند القنطرة . توجع. تفجمت الامال في صدره ، انخذل . انسحق كبر الحقد . ودم ابنه مسفوح على الطرقات . وساقه المحطمة . نقاط العبور . هويتك . التفتيش . انت ممنوع من العبور . كل من هم امثالك ممنوعون . ارفع يديك . اركض . اركض . اركض .

في سوق سفراس يغنى الباعة . تمتزج رائحة السمك والقماش والحديد الصدء والطماطم النتنة والفئران المتعفنة وعرق السوس والليمون وتحتك النساء بالرجال ، والخبز الاسرائيلي بالخبز البلدى . تمزق كل الاغلفة الفوقية .. رشح العرق .. ارتفعت يده تجفف رشح العرق بكم قميصه . دفع عربة الخضراوات ورصها بجوار طابور العربات والبسطات . باع قليلا . وعرق كثيرا ، ولعن ، وحشا جيوبه بقذارة يديه ، نظراته تتفحص الشارع الممتد شرق غرب . السيارات الفارهة من السيارات ذات السبع ركاب تمر . ليس هذا ما ينتظره . كركعة عربة . مدفع يضيق . يضيق . عربة الخضراوات صارت مخزنا متنقلا . في الدرج السفلي كان الموت . يكفى بحركة ان تتمزق الموجودات . الكركعة تزداد . حرك اصابعه . عرق لهث . اصفر . احمر . تحفز . الدمام . اللواط ، البطاقة . الليل . الترميد . اوراق الفصل . انت ممنوع من العبور . اركض اركض. انفجار هز اركان عربات الخضراوات والبسطات وعربات الكارو . ولم تصمت ! كركعة العربة . لحظات ثم توقفت . اطلاق كثيف . محمود خير الدين ملقى على الارض ينزف منه الدم .. بغزارة . بين ذراعيه حدث الانفجار . طلقات . صهلت جياد . ارتعشت آذان الحمير . انحشر الخلق في الازقة والحارات . محمود خير الدين يرى العالم هياكل ودوائر ، واللون الاحمر يسح ، وبوق سيارة اسعاف يلعلع في شؤم .

* *

لماذا هزات من رسالتي السابقة التي حدثتك فيها عن اصابة محمود خير الدين ؟ الانه وقع ضحية خطأ فحدث الانفجار بين ذراعيه . هو احتضن الانفجار اما انت فربما كنت في تلك اللحظات تحتضن لفافة الخبز واللحم عائدا الى بيتك . انا لا ادافع عن محمود خير الدين فان لم يكن قد اخطأ فقد اكمل خطأ ، وكان لايسعى لان يحدث ما حدث . اما انت فقد تعمدت الهرب ، وما زلت تكابر . اعذرني ان كنت قاسيا . وتقول ان الموت ايضا عندكم !! اهو بحجم الموت عندنا ؟ كيف يموت الناس عندكم ؟ كما كنت تحدثني باشمئزاز دائم .. السيارات الفارهة من

الموديلات الامريكية الباهظة الثمن .. والاغنياء الذين يتنخون من التخمة ، والفقراء الذين يموتون على ابواب وارصفة العاصمة . عندنا كذلك الفقراء يموتون من القهر والحزن . الفقراء عندنا لايجوعون الا للارض. لاعليك من كل هذا .. سأحدثك بما سيجعلك تندم اشد الندم على انك هزات من موت محمود خير الدين فلقد اكتشفت ان امورا كثيرة من تلك التى حدثتك بها لم تدر الا فى خيالى فقط لانى كنت احبذ دائما ان يكون الجميع مثل محمود خير الدين الرجل . لم يكن محمود خير الدين رجلا . ليس فى الامر لغز . فحينما ازيح القطن عن وجهه وهو يصارع الموت فى لحظاته الاخيرة . صعقت . لم اشاهد امامى عذابات رجل فى الاربعين من عمره .. انما رأيت وجه صبى لايزيد على الرابعة عشرة من عمره ...

* *

ممنوع التجول . تصاعد صوت المكبر . الذين يمتلكون هوية بدأوا فى الخروج كما طلب منهم . ساحة المدرسة اكتظت بالرجال . الصبى كان يجلس على عتبة باب الدار وهو يتفحص ورقة نجاحه . تفاجأ بصوت الطلقات ، والناس اختبأوا فى بيوتهم مذعورين . لم يستطع تحديد حجم ما يدور . صوت الطلقات متنوع وكثيف . وهو ما زال يراقب الشارع بحذر ، وظل واقفا حتى تحول الشارع الى قطعة من الصمت . وتوقف الاطلاق . سمع اصوات عربات تقترب فأغلق الباب . داروا فى الحارة . نتشوا كل شىء حتى اوعية الزيت والزيتون وصناديق القمامة . اصطدمت انظار الصبى وهو يقف فى باحة الدار بمن يقفز داخل الدار . الملثم بدأ يبحث عن مكان ليختبىء . فى ركن الدار اكوام من الحطب اختفى بينها . دخلوا البيت فلم يكتشفوه . وفى المساء لفظت ساحة المدرسة من فيها من الرجال . خرج من مخبأه وسار خلف الصبى . عبر من الشوارع والازقة ، وعاد بعد ان عرف مخبأ الرجال . صار ينقل اليهم الطعام والاخبار واشياء اخرى تحت الطعام . فى يوم اقترب من المخبأ . توقف . شم رائحة غريبة . احتمى بجدار قريب وبدأ يتلصص فى حذر . شاهد (ابو عبده اليافاوى) . تحسب الصبى . استنشق هواء نقيا . عبأ صدره ، وترقب . مرت لحظات خانقة اختفى بعدها (ابو عبده) . سرى الشك فى نفس الصبى فتحرك من مكمنه وانفلت كالبرق يتخطى الازقة الباقية . فى المظاهرة الاخيرة رفع (ابو عبده) صوته على بعض المتجمهرين ليبتعدوا عن باب قهوته . يومها ثار الناس فى وجهه ، ولولا ان صمت خائفا لحطموا رأسه . « هل شاهدنى وانا انقذ اليهم ؟ هل خمن ما احمله ؟ » والتصقت الكلمات فى حلق الصبى .. لزجة كريهة .تقطرات العرق بدأت تنز من مسام جلده . عبقت الاجواء برائحة فاسدة . حاول الصبى ان يأخذ نفسا عميقا نقيا فلم يستطع . تحفز وغاب وراء اول جدار . انطلق يعدو . يعدو . يعدو . انقطع نفسه . لهث . عرق . تعثر . هل يبلغهم (ابو عبده) بانه عرف مخبأ . وأن به .... ازداد فى العدو، وبريق يلمع فى عينيه .. الشمس تغطس وراء الجدران التى تحمل نقوشا قرميدية ، وصفائح من الزينكو .. نزلت دموع الصبى وهو يسابق اللحظات ، والطريق كأنها امتدت آلاف الاميال . عليه ان يصل قبل العجلات المطاطية .. قبل انقضاض الرصاص والموت . الطعام ؟ ابو سعيد هو الذى ينتهى اولا . انه اكول فى هل بدأوا يتحركون ؟ والرفاق هل انتهوا من تناول كل شىء .. حتى الموت . يزفر من اعماقه ، والمسافات تتناقص ، والليل يدب بتثاقل ، وحراب الظلمة سدت منافذ الرؤيا .. ارتمى على باب المخبأ وهتف بصوت محشرج « اخرجوا .. اخرجوا بسرعة » وما كادوا يخرجون اليه حتى راوه مستلقيا ينز عرقا ولهاثا من كل بدنه .. وتنز ملامحه سعادة لانه وصل مبكرا حدثهم بما حدث . تقافزوا بين اركان المخبأ . لملموا ما استطاعوا من الاشياء . ساعدوه على الوقوف — « لا عليكم . اتركونى واذهبوا » .

« وانت »

— لا تهتموا .. سأتجه شرقا ..

ابو سعيد كان آخر من غادر المكان .نظر فى الظلمة بعمق مرات . ارتاح . ذهبوا جميعا ولم يحدث شىء . وبفرح هتف « غدا قد ابصق فى وجه (ابو عبده) او سأكتفى بابتسامة هازئة « سأغيظه وامشى امام المقهى مرات .. سيقول لى انصرف من هنا .. سأنصرف بعد ان ابصق فى وجهه . لا .. يضربنى لو فعلتها .. سأكتفى بالبصق على الارض » .

بدأ يحاول التحرك بعيدا عن المخبأ ، سمع صفيرا، وصوت جهاز لاسلكى . « اتوا » قالها متوجما . وهم بالانطلاق شرقا فلم يستطع « الصوت صادر من الشرق .. لا من الغرب .. انه من هنا .. من هناك.. ماذا افعل ؟! سأنطلق .. لا .. سأعود الى المخبأ » .

اطلاق رصاص بتكاثف ، فرقعاتبين الجدران تصم الاذان . تراجع الصبى وحراب مسحوقة تخزه . هبط الى المخبأ . ضوء الفانوس ما زال يشع ، والدوى لا ينقطع . فرقعات حادة بدت اكثر وضوحا . المظروف الذى اتى به عند الظهيرة مازال على الارض ، وبقايا طعام ، صعد الى اول المخبأ حاملا المظروف .. اخرج ما فيه وبدأ يستعد .

« الطلقات اقتربت . هدأت . مكبر الصوت يدعو للاستسلام . هذا لن يحدث ، ترحم على يا ابا سعيد» الاطلاق يزداد . انفجار شديد ترب المدخل ..

(البقية على ص ٣٨)

❋ نديـم روحانـا ❋

العربى «البشع» فى وسائل الاعلام الأمريكية

اصدرت لجنة حقوق الانسان فى الولايات المتحدة فى العام الماضى تقريرا اوضحت فيه التصوير غير الواقعى للاسيويين ، المكسيكان ، البورتوريكيين ، الزنوج ، الهنود الحمر والنساء فى وسائل الاعلام الامريكية . ويلاحظ الدكتور **جاك شاهين** ان اللجنة لا تتطرق فى تقريرها الى العرب . لذلك فقد اجرى مراجعة عن صورة العربى فى التلفزيون الامريكى . وقد نشرت مراجعته فى عدد ايار ١٩٧٨ من **« مجلة الشرق الاوسط »** التى تصدر فى الولايات المتحدة . والباحث يعالج القضية على انها تمس مجموعة من مجموعات الاقلية الامريكية ، وهى الاقلية العربية . الا اننا نستطيع ان نرى فى صورة العربى المعروضة على الشاشة الامريكية ــ كما يلاحظها شاهين ــ اهانة للانسان العربى وللشعوب العربية .

فى المقال التالى ساعتمد على المراجعة المذكورة وعلى دراسة اخرى للموضوع اجراها **اياد القزاز** ، وساحاول ان اوضح بعض الدوافع وراء تصوير العربى بهذا الشكل على شاشة التلفزيون الامريكية وفى وسائل الاعلام الاخرى .

يقول الباحث انه منذ مدة طويلة كان العربى موضوعا لصورة غير موضوعية فى البرامج التلفزيونية الامريكية ابتداءا من الوثائق الاخبارية فى شبكات البث التلفزيونى الكبرى وحتى برامج المصارعة المحلية .

فى وصفه لاحد برامج المصارعة يقول المذيع التلفزيونى **« اخبار ، يجب ان يسمع صوت تحطم العظام ، انه بشع بشع »** والجمهور الساخر يصخب ويضج بمجرد اعتلاء المصارع « العربى » لحلبة المصارعة . اما **عبد الله فملقب باللحام** وهو يعرض **« كمصارع قذر ، بدون رحمة لاى مصارع آخر »** .

والغريب فى الامر ــ حسبما يذكر شاهين ــ انه بينما يدعى اصحاب حفلة المصارعة ان عبد الله هو عربى من السودان فهو فى الواقع زنجى امريكى !

وبشكل عام يعرض العربى على الشاشة الامريكية بالشكل التالى : **« خداع قواد الذى يطعن من الخلف . ولا يختلف الامر اذا كان المشهد يتطرق لعربى فى القاهرة او لعربى امام خيمته المحاطة بآبار البترول فى وسط الصحراء . والتلفزيون يعرض اسوأ الصور الممكنة ابتداءا من البدوى منتقم الدم وانتهاءا بالمبتز بواسطة البترول . وهو يساعد على تخليد الاسطورة انه بالنسبة للعربى فلا بطولات هناك الا فى الرحيل الجماعى »** .

وهنا يعدد الباحث مجموعة من المسلسلات التلفزيونية المعروفة والمشهورة التى تعرض العربى بالشكل المذكور اعلاه . فالمسلسل الذى يحمل اسم **« كانون »** ، كثيرا ما يعرض العربى بشكل النذل او الوغد . احدى الحلقات فى هذا المسلسل تعرض مجموعة من العرب التى تختطف بنتا بريئة ؛ وحلقة اخرى تعرض طالبا عربيا متهما بتهريب المخدرات وبالقتل . وتتكرر نفس الصورة فى برامج عديدة منها **« الصياد »** ، **« المركز الطبى »** ، **« جميلات بلانكى »** ، **« رجل الستة ملايين دولار »** ، **« بيونيك وومان »** ، **« ماكلاود »** ، **« كولومبو »** وعدة مسلسلات اخرى .

فى احدى حلقات البرنامج الخيالى **« بيونيك وومان »** يطلب من جميع الشعوب ان لا تجرى تجارب ذرية لان التجربة ستفجر قنبلة تؤدى الى خراب العالم . وطبعا ، احد الزعماء العرب ــ فى المسلسل ــ هو

الذى لا يهتم بالتحذير ويجرى التجربة الذرية لتتكرس صورة « العربى المفتقد لاى شعور انسانى » .

ان الامثلة التى يعددها شاهين شديدة القسوة ، ليس فقط لانها تشوه الواقع ، بل لانها احيانا اقرب الى واقع يعانى منه العرب انفسهم .

فى احدى حلقات « **المركز الطبى** » تسرد قصة ابن احد الاثرياء العرب الذى يحب استر الارملة اليهودية التى تعيل ابنها من ادارة دكان « **كشير** » . وهذا المحب العربى يتصرف بشكل غير مسؤول فهو الشاب المدلل والفاسد والكسول وغير الناضج . اما الاب فيصور كانسان بدائى متعصب وعنصرى وعندما يعلم بنية ابنه بالزواج من استر يقول : « **يحب ؟ ويحب يهودية ؟ ما علاقة الحب بالشرف وبالواجب وبالله ؟** » . وفى احدى حلقات « **ماكلاود** » فان العربى معروض كتاجر رقيق عديم الرحمة وجاهل بامور السياسة والنساء .

فى اعتقادى ان القضية اوسع من ان تكون برامج تلفزيون تشوه صورة اقلية امريكية . من الممكن ان تكون العملية التربوية الشاملة تعمل بنفس طريقة التشويه . شاهين يذكر امثلة من الافلام المعدة للتلفزيون مثل فيلم « **٢١ ساعة فى ميونيخ** » . الا ان شاشة السينما مليئة بالافلام التى تعرض صورة العربى تماما مثلما تعرضها شاشة التلفزيون الامريكى . ولما كنا نتحدث عن حقائق مسجلة فقط فلا نستطيع التعميم على السينما ، الا ان الباب يبقى مفتوحا امام دراسة للسينما مماثلة لدراسة شاهين عن التلفزيون ، ونستطيع ان نتوقع ان التعرض للانسان العربى على شاشة السينما الامريكية والغربية هو تعرض غير موضوعى وغير واقعى ، سلبى ومشوه لحقائق .

قبل ان ارجع الى التفسير الذى يقترحه شاهين اريد ان اشدد على ان الامثلة المذكورة ليست صدفة بالمرة . انها تبدو كتوجه شامل مخطط وهادف . وقد تكون العملية التربوية فى كل ما يتعلق بالعرب مشوهة . هذا الامر ايضا يتطلب متابعة ودراسة . كيف يدرس تاريخ العرب القديم والحديث فى المدارس الامريكية فى امريكا وفى خارجها ؟ من يضع برامج التعليم وما هدفها ؟ ان هذه الاسئلة التى تبدو لاول وهلة مبالغة تتوضح واقعيتها مثلا بعد ان كشف رئيس البعثة التعليمية (فى اوائل الستينات) التابعة للسفارة المصرية فى المانيا الغربية عن ان المدرسة الامريكية هناك (ويفهم من تقريره ان الامر ينطبق على كل المدارس الامريكية فى خارج امريكا) تعلم تاريخ العرب بشكل مشوه جدا ومغاير للحقيقة ، فحرب السويس تعرض مثلا بالشكل التالى : « **قناة السويس ممر دولى هام يعمل فى خدمة الملاحة منذ انشأها ديليسبس . سنة ١٩٥٦ تعرضت القناة للاغتصاب من قبل عبد الناصر ولم يكن بد من ان تتضافر الدول المحبة للسلام مع اصحاب القناة لتخليصها من يد مغتصبها الدكتاتور الشريد الذى يهدد سلامة اسرائيل وسلام العالم** » . وعندما حاول الملحق التربوى ملاحقة الموضوع مع مدير المدرسة ، علم منه ان **البنتاجون** هو المسؤول عن وضع المناهج والكتب المدرسية ونصح بمقابلة الملحق العسكرى لشؤون التعليم فى السفارة الامريكية . ولكنه يعترف انه بعد جهود طويلة خسر المعركة امام البنتاجون وبقيت البرامج على ما هى (**«الاهرام» ، ١٤ تموز ٧٨**) .

أما التفسير الذى يقترحه شاهين للظاهرة التى يذكرها فى مراجعته فهو ان وسائل الاعلام قد سمحت لنفسها ان تقع فريسة للدعاية وللمعلومات الخاطئة ، وان الصحفيين الاذاعيين هم ضحية لما يسميه **«الصحافة الاغداق»** ويقصد الصحفيين الذين يقومون برحلات على حساب جهات معينة . فمن المعروف مثلا ان **الاتحاد الصهيونى الامريكى** يمول رحلات « **لاناس مهمين جدا** » تعرض الصحفيين – حسب تفسير شاهين – لانزلاق ايديولوجى .

من الصعب ان نقلل من اهمية هذا العامل . خاصة عندما نعلم ان الرحلات الممولة لا تشمل فقط رجال اذاعة وتلفزيون وانما تضم رجال اعلام آخرين ورجال فكر واكاديميين ومعلمين ومختصى تربية وشخصيات دينية وآخرين . وبدون التقليل من اهمية هذا التفسير فمن الممكن ان نقول ان هذا الاعلام المكثف لا يستطيع ان يؤثر بهذا العمق لولا ان هناك استعدادا وتوجيها منظما داخل جهاز التربية الاعلامية الامريكية العام .

وتفسير آخر يذكره شاهين هو ان المراسلين الامريكيين اليهود يغطون معظم اخبار التلفزيون من اسرائيل بينما اخبار العالم العربى لا يغطيها مراسلون من اصل عربى ! الا انه يحق لنا ان نسجل هذا المثال كدعامة لما ذكر سابقا من استعداد داخل جهاز الاعلام الامريكى لمثل هذه الحقائق .

لا يمكن للتفسيرات التى يقترحها شاهين ان توضح التوجه الشائع فى البرامج الاخبارية والوثائقية فى التلفزيون الامريكى كما يصفها فى مراجعته . ففى احد البرامج الوثائقية فى شركة (سى . بى . اس) بعنوان « **الفلسطينى** » كان من المفهوم ان جميع الفلسطينيين تقريبا « مخربون » ولم يتعرض البرنامج لاى جانب انسانى للقضية . وفى برنامج آخر من ال سى . بى . اس . عن **العربية السعودية** **يذكر مارفن كالب** فى تعرضه لاغتيال الملك فيصل انه

(البقية على ص ٤٠)

* د. سليمان بشير *

الارث الاسماعيلى للقرامطة

على الرغم من اختلاف المراجع حول الفترة التي تقبل فيها حمدان قرمط تعاليم الدعوة وعمل على نشرها فانها تتفق على كونه قد تولى أمر تنظيمها في العراق حال وفاة الحسين الاهوازي . فابن النديم يذكر من ناحية ان حمدان قرمط قد عايش عبد الله بن ميمون القداح (**الفهرست** ، ص ٢٦٥) . ومن الناحية الاخرى فان الرواية التي يوردها المقريزي تفيد انه عايش ابنه احمد (المقريزي ص ٣٠) . وهو ما يوافقه برنارد لويس ضمنا لاعتقاده بان عبد الله بن ميمون قد توفي في اواخر القرن الثاني او اوائل الثالث ، اى قبل مجيء حمدان قرمط بحوالى نصف قرن (لويس ص ٦٦ — ٦٧) .

وحول تولى حمدان قرمط امر تنظيم الدعوة في العراق ، والدعاة الذين عملوا تحت امرته هناك يقول المقريزى : « ولما حضرته (اى الحسين الاهوازى) الوفاة جعل مقامه حمدان بن الاشعث قرمط ، وأخذ على اكثر اهل السواد وكان ذكيا داهية . وكان ممن اجابه مهرويه بن زكرويه السلمانى ، وجلندى الرازى ، وعكرمه البابلى ، واسحاق السودانى ، وعطيف النيلي ، وغيرهم . وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس . وكان اكبر دعاته عبدان ، وكان فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظر (؟) انه من اهل السواد ، ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير ان يتجاوز به الى غيره ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو محمد بن اسماعيل بن جعفر . فكان احد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه . وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد . فنصبه عبدان على اقليم نهر هد وما والاه ومن قبله جماعة دعاة متفرقون في عمله . وكان داعية عبدان على نهر بادقلى الحسن بن ايمن ، وداعية على طسوج تستر المعروف بابوراني (واليه تنسب البورانية) وداعية على جهة اخرى المعروف بالوليد . وفي اخرى ابو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت ايديهم . فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة . وكل ذلك بسواد الكوفة » . (ص ٢٠٨ — ٢٠٩) .

بالاضافة الى ذلك فقد استجاب الى دعوة حمدان قرمط عدد كبير من القبائل العربية في سواد الكوفة . اى ان الذين استجابوا للدعوة كانوا خليطا من الموالي والعرب على حد سواء . يقول المقريزى : « ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير او قليل : من بنى عابس وذهل وعنزة وتيم الله وثعل وغيرهم من بني شيبان ، فقوى قرمط ... » (نفس المصدر ، ص ٢٠٩ — ٢١٠) .

غير ان اهم الدعاة الذين لعبوا دورا بارزا في الثورات القرمطية التي اجتاحت جنوب العراق وبلاد الشام كان ابو زكريا يحيى بن المهدي الثمامى او الصمامى الذى تشير اليه المراجع المختلفة باسماء والقاب مختلفة : كزكرويه وابو زكريا الصمامى ويحيى الثمامى ويحيى بن المهدى الخ ... ؛ والذى ظهر على ما يبدو في فترة ظهور ابى سعيد الجنابى في البحرين او ربما سبقه بقليل .

وبالاضافة الى تخلخل مركز الخلافة وانشغالها بكثرة الفتن والثورات وتفكك الدولة السياسى فان ما ساعد على سرعة انتشار الدعوة هو كون العراق قد شكل أرضية صالحة من الثورات الفلاحية التى كانت تندلع بقيادة الائمة الشيعيين من ابناء على وباسم الرضى من آل البيت . وقد توالت هذه الثورات واشتدت في الكوفة بعد فترة من الهدوء النسبى الذى شهدته بداية الفترة العباسية . منها ثورة محمد بن ابراهيم العلوى الملقب بابن طباطبا بين السنوات ١٩٩ — ٢٠١ هـ حين استولى الثوار على

الكوفة والبصرة والاهواز وهددوا الخلافة العباسية . ولم تهدأ الحال حتى اتخذ المأمون من علي الرضى بن موسى الكاظم وليا لعهده .

ثم كانت ثورة محمد بن القاسم العلوي في خراسان في فترة حكم المعتصم (٢١٨ هـ — ٢٧٧ هـ) . وفي فترة تسلط العناصر التركية على الحكم بعد قتلهم للخليفة المتوكل وقيامهم بتولية وعزل الخلفاء (٢٤٧ هـ — ٢٥٦ هـ) ضعفت الخلافة وانشغل الخلفاء عن ملاحقة العلويين . لذلك فقد اندلعت ثلاث ثورات شيعية متتالية ضد العباسيين . اولها كانت بزعامة يحيى بن عمر العلوى في الكوفة ايام المستعين بالله سنة ٢٥٠ هـ . والثانية بزعامة الحسين بن حمزة الطالبى في الكوفة ايضا سنة ٢٥١ هـ . والثالثة بزعامة على بن زيد العلوى سنة ٢٥٦ هـ .

واذا اضفنا ثورة الزنج الى تلك الخلفية (بين السنوات ٢٥٥ — ٢٧٠ هـ) يتضح عندها ما ذهب اليه المقريزى من ان الجو كان مواتيا لسرعة انتشار الدعوة القرمطية . يقول المقريزى : « وكان الذى اعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق وتركه لتدبيره ، وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالفقر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء وبسطوا ايديهم في البلاد وعلت كلمتهم » . (نفس المصدر ، ص ٢١٣) .

وطالما نحن بصدد ذكر ثورة الزنج التي اندلعت في الفترة التي كانت الحركة القرمطية لا تزال في طور النشوء في العراق لا بد من التوقف عند المحاولات التي قام بها صاحب الزنج لعقد تحالف مع حمدان قرمط ورفض الاخير لها (راجع د . فيصل السامر ، **ثورة الزنج** ، ص ٧٠) . اما المقريزي فيذهب الى القول ان مهرويه بن زكرويه . احد دعاة حمدان قرمط هو الذي عرض على صاحب الزنج الانضمام له بقوله « ورائى مائة الف ضارب سيف اعينك بهم » . (نفس المصدر ، ص ٢١٣) وعلى اى حال فان ما ما يزيد في التباس المعلومات التي توردها المراجع العربية عن طبيعة العلاقة بن الزنج والقرامطة ينبع عن خلط بعض تلك المراجع بين الزعيم القرمطي ابى سعيد الجنابى وبين احمد بن مهدى الجبائى احد قادة الزنج . وفيما عدا بعض الاتصالات الغير مثمرة التى من المحتمل ان تكون قد تمت بين القرامطة والزنج فان اكثر الدراسات الحديثة تشير الى ان الزنج كانوا أقرب الى تعاليم الخوارج منهم الى الشيعة الاسماعيلية التى شكل القرامطة فرعا لها . (فيصل السامر ، المصدر السابق ، ص ٦٨ — ٧٠) .

اما من الناحية التنظيمية فان المقريزى يورد رواية تشتمل على بعض المعلومات الهامة حول ما انجزه القرامطة في هذا المجال . ويظهر ان مصادر تمويل الدعوة كانت في البداية رسوم اشتراك او عضوية تدفع على شكل ضريبة من قبل جميع المنتسبين الجدد . يقول المقريزى : « فابتدا (حمدان) يفرض عليهم ان يؤدوا درهما عن كل واحد وسمى ذلك **الفطرة** على كل واحد من الرجال والنساء ، فسارعوا الى ذلك ... ثم فرض **الهجرة** وهو دينار على كل راس ادرك ... فدفعوا ذلك اليه وتعاونوا عليه ، فمن كان مقيدا اسعفوه ... ثم فرض عليهم **البلغة** وهي سبعة دنانير ... وزعم ان ذلك بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى **والسابقون السابقون اولئك المقربون** . » (ص ٢١٠) .

ونحن لا نعلم فيما اذا كان ذلك التدرج والارتقاء في سلم الدعوة بازدياد التزامات الفرد تجاهها . غير ان هنالك اشارة الى انهم كانوا يقدمون لكل من دفع **البلغة** من اولئك السابقين طعاما اسموه **طعام اهل الجنة** ، وان كل داع كان مسؤولا عن جمع مائة **بلغة** .

وفي مرحلة متقدمة اخذ القرامطة يجمعون في مناطق نفوذهم خمس الاملاك : « فلما توطأ له الامر فرض عليهم اخماس ما يملكون وما يكتسبون وتلا عليهم : **واعلموا انما غنمتم من شيء فله خمسه** — الآية ، فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وادوا ذلك اليه فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل يخرج خمس ما يكسبه . » (ص ٢١٠ — ٢١١) .

ويظهر ان القرامطة قاموا في مراحل متقدمة باعادة توزيع املاكهم واموالهم بالتساوى . يقول المقريزي : « فلما تم له ذلك فرض عليهم الالفة وهو ان يجمعوا اموالهم في موضع واحد وان يكونوا فيه اسوة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه واخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : **واذكروا نعمة الله عليكم اذا كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** — الآية ، ... وعرفهم انه لا حاجة بهم الى اموال تكون معهم لان الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم وقال : **هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون** ، وطالبهم بشراء السلاح واعداده وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين . واقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده اموال اهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم ما يكفيهم ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ، واخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والمكسب

جهده ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها والصبي اجر نظارته للطير ، واتوه به فلم يملك احد منهم الا سيفه وسلاحه . » (ص ٢١١ — ٢١٢) .

والمعلومات الواردة في هذه الرواية ليست بحاجة الى التعليق ، فقرامطة العراق سعوا في هذه المرحلة المبكرة اقامة دولتهم على اسس من المساواة الاجتماعية في تقسيم العمل والارباح في حين اصبحت الدولة هي المالك الاساسي للأرض ، الامر الذى اضاف الى مسالة عودة المهدى الغائب بعدا اجتماعيا فرضته ظروف التمردات الفلاحية التى شهدها جنوب العراق في تلك الفترة .

سنقوم في مراحل متقدمة من هذه الدراسة بمحاولة لتتبع الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التى قام بها قرامطة البحرين على هذا المستوى ايضا . اما هنا فتجدر الاشارة الى ان ظاهرة مركزة عملية تقسيم العمل والانتاج قد شكلت جزءا من تطور المفهوم المركزى للسلطة السياسية على المستوى التنظيمي داخل الدعوة ككل . يقول المقريزى : « ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على ان يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بها . فاختاروا من سواد الكوفة — في طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات — قرية تعرف **بمهتماباز** فحاذوا اليها صخرا عظيما وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثماني اذرع ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في اسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم . وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان وسميت **دار الهجرة** وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ احد الا خافهم ولا بقي احد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد . » (ص ٢١٣) .

ومن الناحية الاخرى فبسبب هذا الطابع المركزي والسري لتنظيم الدعوة ، فان وحدة هذه الاخيرة تتعرض للخطر نتيجة لحدوث اى خلل في حلقات الاتصال بين فروعها . ومع اننا كنا قد اشرنا في السابق الى ما ذهب اليه برنارد لويس من ان الخلاف بين مركز الدعوة الاسماعيلية وبعض فروعها قد نشب في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع الهجريين فان الرواية التالية التى يوردها المقريزى تشير الى ان ذلك قد حدث اواخر حياة حمدان قرمط او بعد وفاته بقليل (اوائل الربع الاخير من القرن الثالث الهجرى) . كما تشير ايضا الى ان بذور ذلك الخلاف والانشقاقات التى نتجت عن داخل الحركة القرمطية في العراق تعود الى طبيعة التكتم والاستبداع داخل الدعوة حيث يتوقع دائما ان ينشب الخلاف حول هوية امام الزمان والصلاحيات التى انيطت بالكثير من دعاته للنطق باسمه . يقول المقريزى : « وكان قرمط يكاتب من بسلمية (مركز الدعوة) . فلما مات من كان بوقته وخلفه ابنه من بعده كتب الى قرمط فانكر منه اشياء . فاستراب قرمط وبعث ابن مليح — احد دعاته — ليعرف الخبر فامتنع . فانفذ بميدان وعرف موت الذين كانوا يكاتبونه ، فسال ابنه عن الحجة ومن الامام (المستقر) الذى يدعو اليه ، فقال الابن : ومن الامام ؟ فقال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان ، فانكر الابن ذلك وقال : لم يكن امامي غير ابي ، وانا اقوم مقامه ، فرجع عبدان الى قرمط وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وامرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سلميه : لا حق لمحمد بن اسماعيل في هذا الامر ولا امامه ، وكان قرمط انما يدعو الى امامة محمد بن اسماعيل . فلما قطعوها عن ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم لانها امتدت في سائر الاقطار . ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين بسلمية . » (ص ٢٢٣ — ٢٢٤) .

هنا اشارة واضحة الى بدء انقطاع الاتصال بين القرامطة ومركز الدعوة في سلمية والى كون ذلك قد نتج عن الخلاف حول هوية الامام الذين يدعون باسمه . والظاهر ان ذلك قد ادى الى نشوب خلافات وانشقاقات حادة داخل الدعوة القرمطية خاصة بعد موت حمدان القرمطي . ويضيف المقريزى : « وكان رجل منهم قد نفذ الى الطالقان يبث الدعوة . فلما انقطعت المكاتبة طال انتظاره فشخص يسال عن قرمط ، فنزل على عبدان بسواد الكوفة فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة وانهم لا يعودون فيها ، وانه تاب من هذه الدعوة حقيقة . فانصرف الرجل عنه الى زكرويه بن مهرويه (ابى زكريا او يحيى بن زكريا كما تقدم (ليدعو كما كان ابوه (مهرويه السلمانى) يدعو الرجال ، فقال زكرويه : ان هذا لا يتم مع عبدان لانه داعي البلد كله والدعاة من قبله والوجه ان نحتال على عبدان ونقتله ، وما ظن على ذلك (؟) جماعة من قرابته وثقاته وقال لهم : ان عبدان قد نافق وعصى ، وخرج من الملة ، فبيتوه ليلا وقتلوه . فشاع ذلك وطلب الدعاة واصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر وخالفه القوم كلهم الا اهل دعوته وتنقل في القرى — وذلك في سنة ست وثمانين والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين . » (ص ٢٢٤) .

ويتضح من هذه الرواية ان زكرويه بن مهرويه قد بدأ حوالى سنة ٢٨٩ باعادة تنظيم قرامطة العراق وتأكيد ولائهم للامام الاسماعيلى وذلك بعد خروج

حمدان وعبدان من الدعوة وبعد اغتيال هذا الاخير . وبعد نجاح زكرويه فى اعادة تنظيم الحركة قام هو وابناؤه بعدة محاولات لاستعادة سيطرة الدولة على جنوب العراق . كما ان المراجع العربية مليئة بالتقارير حول الغارات التي قامت بها الفروع الموالية لزكرويه على اطرافه بلاد الشام بهدف توسيع رقعة الدولة .

ويذكر المقريزى ان زكرويه انفرد بشيمته وحاول اعادة تنظيمها على اساس كونها فرعا من الدعوة الاسماعيلية . الامر الذى يوافقه عليه برنارد لويس . وهذا الاخير يعتقد ان التحضيرات التى تمت لاعادة تنظيم ذلك الفرع قد تمت بمعرفة ائمة الاسماعيلية فى سلمية ان لم يكن باشرافهم . ومع اننا لا نؤيد الجزم فى هذه النقطة لانتقال عبيد الله المهدى ومعه « الحجة » الى المغرب فى هذه الفترة بالذات (حوالى سنة ٢٨٩ هـ) فاننا نعتقد ان زكرويه وابنائه قد ادعوا بانهم ائمة مهديين من نسل اسماعيل بموجب التفويض الذى يخول الدعاة الاسماعيليين عادة بالظهور كائمة . الامر الذى لم يعيه الطبرى عندما اشار الى هذا الادعاء وذلك على الرغم من ان الطبرى قد اشار الى دعوى يحيى بن زكرويه بوجود اتباع له فى المغرب . (**تاريخ الطبرى** ، ج ١١ ص ١٥٧) .

وحو انتساب زكرويه وابنائه الى محمد بن اسماعيل فى محاولاتهم احتلال بلاد الشام فان المقريزي يذكر انه ارسل ابنه الحسن ومعه رجل يدعى ابو الحسين القاسم بن احمد الى بنى كلاب بالشام . كما انه امره « ان ينتسب الى محمد بن اسماعيل ويدعوهم الى الامام من ولده . » وبالفعل فقد استجاب للحسن بن زكرويه قوم من بنى العليص . كما ان زكرويه امده بعد فترة بابن اخيه الذى اتخذ اسم عبد الله ولقب المدثر ، ويضيف المقريزى : « ويقال ان المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدى وانه تسمى عبدالله بن احمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وعهد اليه صاحب الخال من بعده . » (ص ٢٢٥) .

وبالاضافة الى المدثر فقد ارسل زكرويه « غلاما من بنى مهرويه لقب بالمطوق — وكان شيافا (او سيافا ؟) ، وكتب الى ابنه الحسن يعرفه بانه ابن الحجه (اى الامام المستقر) ويامره بالسمع والطاعة له ، فسار حتى نزل فى بنى كلب فلقيه الحسن بن زكرويه وسر به وجمع له الجمع وقال : هذا صاحب الامام ، فامتثلوه لامره » . (ص ٢٢٥٥) . ويضيف المقريزى ان ابن الحجة هذا « ادعى انه محمد بن عبد الله وقيل علي بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وانكر قوم هذا النسب وقالوا انما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه . وكنيته ابو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة وبصاحب الجمل . وهو اخو صاحب الخال القائم من بعده » . (نفس المصدر) .

على اى حال فقد قام القرامطة من اتباع ابن الحجة هذا بمقاتلة شبل الديلمى مولى المعتقد وقتله بالرصافة غربى الفرات سنة ٢٨٩ هـ. ومن هناك ساروا باتجاه الشام وحاصروها لمدة سبعة اشهر وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون ، وبقى الاخير محاصرا حتى اتاه بدر الكبير غلام ابن طولون المعروف بالحمامى على راس نجدة من مصر . يقول المسعودى : « وفى سنة تسع وثمانين ظهر القرمطى (الذى يسميه المسعودى زكرويه بن مبرويه خطأ) بالشام وكان فى حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره . » (**مروج الذهب** ، ج ٢ ص ٤٩٣) .

بعد مقتل ابن الحجة (او محمد بن عبد الله ، صاحب الناقة) قام القرامطة بمبايعة الحسن بن زكروية « وهو الذى يقال له احمد بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن احمد ، بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف بصاحب الخال . فسار بهم وافتتح عدة مدن بالشام وظهر على حمص وقتل خلقا وتسمى بامير المؤمنين على المنابر وفى كتبه وذلك فى سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين (ومائتين) » . كما انه ضرب نقودا نقش عليها من جهة « قل جاء الحق وزهق الباطل » ومن الجهة الاخرى « قل لا اسالكم عليه الا المودة فى القربى » . (المقريزى ، ص ٢٢٦) .

بعدها التقى القرامطة بمولى المكتفي بالرقة وهزموه ، ثم عادوا الى دمشق فحاربوا بشيرا مولى طغج وهزموه ايضا . وفى ربيع الاول سنة ٢٩٠ هـ بعث اليهم المكتفى بابى الاغر السلمى على راس جيش فهزموه بالقرب من حلب وكان عليهم المطوق . ثم ان الحسن بن زكرويه جمع جيش القرامطة من جديد ودخل حمص « فخطب على منابرها » ، واحتل حماة والمعرة ودمشق مرة اخرى . وفى محرم سنة ٢٩١ هـ التقى القرامطة بجيش اخر كان المكتفى قد ارسله بقيادة محمد بن سليمان بالقرب من حماة .

وبسبب تضاؤل الجيش القرمطي فقد استخلف الحسن بن زكرويه عليه ابا الحسين القاسم بن احمد وعاد الى السواد ومعه عيسى المدثر والمطوق . وفى الطريق قبض عليه فى قرية يقال لها الدالية بالقرب من الرحبة (فى سواد الكوفة) واخذ اسيرا الى المكتفى ، كما ان محمد بن سليمان قائد المكتفى التقى بجيش آخر للقرامطة بالقرب من الرقة وهزمه واسر الكثير منهم .

وبسبب انقطاع الامدادات فقد قرر ابو الحسين

القاسم بن احمد ابو الحسين ترك الشام واللحاق بزكرويه. غير ان هجمات القرامطة عليها تجددت سنة ٢٩٣ هـ عندما ارسل زكرويه ابا غانم محمد بن عبد الله بن سعيد المعلم (الملقب نصر) مرة اخرى الى الاصفيين وبنى العليص من كلب . فسار بهم نحو دمشق وحارب صالح بن الفضل خليفة احمد بن كيغليغ والى المكتفى على الشام وهزمه . ومن هناك توجه القرامطة الى طبريا فارسل المكتفى اليهم بالحسن بن حمدان لقتالهم . وبعد ان انسحبوا الى هيت ارسل المكتفى جيشا اخر بقيادة محمد بن اسحاق بن كنداج وخادمه مؤنس . وعندما تضايق القرامطة دب الخلاف بينهم فقام رجل منهم يقال له الذئب بن القائم فقتل محمد بن عبد الله المعلم (نصر) الامر الذى ادى الى انشقاق بنى كلب وتفرقهم عنهم .

غير ان زكرويه عاد وارسل احمد بن القاسم الى بنى كلب . فجمعهم وسار بهم الى الكوفة . هناك التقوا بزكرويه فى السواد فبايعوه . وبعد ان هاجموا قوافل الحجاج بعث اليهم المكتفى بمحمد بن اسحاق لقتالهم . وفى محرم سنة ٢٩٥ هـ هاجموا قوافل الحجاج القادمة من خرسان واستولوا على مدينة فيد فى الطريق بين الكوفة ومكة . وفى اواخر ربيع الاول اصطدموا بجيش اخر للمكتفى فهزموا واسر زكرويه الذى مات فى طريقه الى المكتفى بسبب جراحه البالغة . (راجع المقريزى ، ص ٢٣٨ والمسعودى ص ٤٩٣) .

وبموت زكرويه وهزيمة القرامطة تنتهي آخر محاولة جدية لتنظيم فرع الدعوة فى العراق ، ويشهد السواد فترة قصيرة من الهدوء النسبى . غير ان قرامطة البحرين كانوا فى تلك الاثناء قد قطعوا شوطا بعيدا فى بناء دولتهم . الامر الذى ادى الى تعرض جنوب العراق الى موجة اخرى من الحروب القرمطية .

ومن الناحية الاخرى فقد قامت عدة محاولات هامشية ومتفرقة لاعادة بناء بعض فروع الدعوة من قبل القرامطة فى العراق . ففى سنة ٢٩٥ هـ قام ابو حاتم الزطى بمحاولة لتنظيم القرامطة البورانية على اسم البورانى احد دعاة السواد . غير ان هؤلاء اختلفوا وتفرقوا بعد فترة وجيزة . فقالت طائفة منهم " زكرويه بن مهرويه حى وانما شبه به على الناس " . وطائفة اخرى قالت " الحجه لله محمد بن اسماعيل " . ومن ضمن تلك المحاولات ايضا ما يذكره المقريزى ايضا عن محاولة محمد بن قطبه القرمطى لتنظيم بنىّ عجل بالقرب من واسط . الامر الذى يدل على ان بعض الفروع المتفرقة قد حاولت الظهور من جديد بعد مقتل زكرويه زعيم الحركة فى السواد . ويؤكد المقريزى على فشل تلك المحاولات المتفرقة بقوله : " ثم خمدت

احوال القرامطة الى ان تحرك ابو طاهر بن ابى سعيد الجنابى وعمل على اخذ البصرة . " (ص ٢٣٩) .

وقبل الانتقال لدراسة تاريخ الدولة القرمطية فى البحرين لا بد من الاشارة الى ان فترة اواخر القرن الثالث الهجرى التى شهدت ظهور فرع الدعوة الاسماعيلية فى المغرب والعراق والشام قد شهدت ظهور تلك الفروع على السطح فى اليمن وخراسان ايضا .

وبالنسبة لخراسان فان البحث فى تاريخ نشوء فروع الدعوة الاسماعيلية ونشاطها هناك لا يزال يعانى من عدم توفر المعلومات الكافية والمقريزى يشير الى نشاط تلك الفروع فى الفترة التالية من كتابه **اتعاظ الحنفا** : " واما خراسان فتقدم اليها بالدعوة ابو عبد الله الخادم . فاول ما ظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته ابا سعيد الث . . . . وصار منهم خلق خلق كثير هناك من الرؤساء واصحاب السلاح و . . الرى من رجل يعرف بخلق الحلاج . وكان يحلج القطن ، فعرف بها طاعة بالخليفة (أ) وهم خلق كثير ، ومال اليهم قوم من الديكم وغيرهم وكان منهم . . . قتل مرداويج اسفار عظمت شوكة القرامطة فى . . . يقتلون الناس غيلة حتى افنوا خلقا كثيرا . ثم خرج مرداويج الى جرجان لقتل لضر بن احمد الساماتى . . . " (ص ٢٤٦) .

والاضطراب واضح فى هذه الفترة لكثرة ما بها من بياض . اما بالنسبة لاسفار فيذكر ابو المحاسن انه بن شيرويه القائد الديلمى الذى غلب على قزوين سنة ٣١٥ هـ . ثم وثب عليه قائده مرداويج فقتله وملك اقليم الرى والجبال مكانه وظل يحكمها الى ان قتله جماعة من مماليكه . (راجع **النجوم الزاهرة** ص ٢١٧) .

اما بالنسبة لليمن فيذكر البها الجندى ان مؤسسى فرع الدعوة هناك اثنان : على بن الفضل ومنصور بن الحسن . والرواية التى يوردها البهاء الجندى حول الحركة الاسماعيلية ـ القرمطية فى اليمن تتسم بالاضطراب والغموض الذى يميز الكتابات السنية عادة والذى نستطيع الان فهمه على خلفية دراستنا للحركة الاسماعيلية ككل . فالبهاء الجندى يذكر ان عليا بن الفضل هذا اثنى عشرين المذهب من عرب ذى جدن فى اليمن ، وانه التقى بميمون وابنه عبد الله عندما كان فى زيارة لمشهد الحسين بن على فى كربلاء . ومع ان البهاء الجندى لا يذكر تاريخ ذلك اللقاء فانه يضيف بعدا اخر الى عملية التشويش والطعن فى اصل الاسماعيلية . وقد ذكرنا فى السابق كيف ان عملية الطعن هذه تركزت حول ما نسب الى الدعوة من

جذور واهداف مجوسية وثنوية . اما البهاء فيقول عن ميمون : « واصله من سلمية مدينة فى الشام وانتسب الى العلويين واكثرهم ينكر صحة نسبه فالله اعلم ، وقطع (ابو عبد الله محمد) بن مالك بانه يهودى . » (المصدر السابق ، ص ١٣٩) .

والبهاء الجندى يذكر ايضا بان « رجلا من كربلاء اسمه منصور بن زادان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن ابى طالب كان جده زادان اثنى عشرين المذهب احد اعيان الكوفة » كان برفقة ميمون عندما قابل على بن الفضل . وهنا يكمن خطأ واضح لا بد من الاشارة اليه . اذ ان اسم زادان هذا قد ورد احيانا بشكل دندان او زيدان كما راينا . ولعله هو المشار اليه بالفرج بن عثمان فى الوثيقة القرمطية التى اشرنا اليها سابقا . والالتباس هنا يرتبط بالفترة التى عاش فيها كل من هؤلاء . ففى حين يؤكد برنارد لويس على ان زادان او دندان هذا قد عاش فى القرن الثالث وانه من غير المعقول ان يكون قد عايش ميمونا او ابنه عبد الله ، فان البهاء يرتكب خطأ اخر عندما يقول بان على بن الفضل قد عايش هذين الاخيرين فى نفس الوقت . وبعد ان يذكر البهاء ان ميمونا هو الذى جمع على بن الفضل ومنصور بن الحسن داعيته الاخر وسيرهما الى اليمن يروى كيف ان منصورا هذا نزل عدن واخذ يبث الدعوة فيها . ويضيف : « ثم حين علم استقامة امره كتب الى ميمون يخبره بقيام امره وظهوره على ما عانده وبعث له بهدايا وتحف جليلة وذلك سنة وتسعين ومائتين . » (ص ١٤٢) .

من ذلك يفهم ان ميمونا قد عاش فى اواخر القرن الثالث الهجرى ، الامر الذى كنا قد وقفنا على عدم صحته لكون ميمون قد عاش زمن اسماعيل وابيه جعفر الصادق . والمخرج الوحيد من هذه البلبلة يكمن فى فهمنا لطبيعة العمل السرى وكون الدعاة فى اليمن يراسلون الائمة الذين انتسبوا الى ميمون وابنائه فى السلامية .

اما المقريزى فيضيف بعدا اخر الى هذه البلبلة عندما يذكر ان منصور بن الحسن هو ابو القاسم الحسن بن فرج الصناديقى وان ابن ابى الفوارس ، احد دعاة عبدان فى العراق هو الذى انفذه داعية الى اليمن (المقريزى ، ص ٢٢٢) . والظاهر ان منصورا بن الحسن والصناديقى هما نفس الشخص . اذ ان البهاء الجندى يذكر فى موضع اخر ان منصورا هذا كان يلقب بابى القاسم ايضا . (البهاء الجندى ، ص ١٤٠) .

اما على الفضل فقد عمل داعية فى منطقة صنعاء التى تمكن من احتلالها سنة ٢٩٩ هـ (البهاء الجندى ، ص ١٤٣ — ١٤٤) . غير ان الهزات العنيفة التى تعرضت لها فروع الدعوة الاسماعيلية فى العراق فى تلك الفترة قد اثرت على مصير الدولة القرمطية فى اليمن ايضا . يقول البهاء الجندى : « ولما علم ان قد استحكم له امر اليمن خلع عبيد بن ميمون (اى عبيد الله المهدى بالمغرب) الذى كان يظهر انه داع اليه ثم كاتب صاحبه منصور بذلك فعاد جوابه اليه يعاتبه . . . فلم يلتفت اليه بل كتب كتابا يخبره ويقول ان لى بابى سعيد الجنابى اسوة اذ قد دعا لنفسه ، وانت الم تنزل الى وتدخل فى طاعتى نابذتك الحرب . فلما ورد كتابه الى منصور بذلك غلب على ظنه صحته وطلب جبل مسور واخذ بتحصينه . . . » (ص ١٤٦) .

وكان نتيجة ذلك الانشقاق ان دب الخلاف داخل الدولة الاسماعيلية فى اليمن ، ويروى الجندى عن ابن مالك قوله : « وقد سألت جمعا من الذين يتحقق منهم المذهب فانكروا ذلك ورايتهم مجتمعين على ان ابن فضل زنديق وان منصور اليمن من اعيان مذهبهم واخيارهم . . . » (ص ١٤٧) .

اما بالنسبة لنهاية الدولة فى اليمن فانكر البهاء ان على بن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣ بعد ان دام حكمه ١٧ سنة . وبعد مقتل ابنه المعروف بالفافانى ثار اسعد بن يعفر عاملهم على صنعاء فى قبائلها واحتلها . ومن الناحية الاخرى فقد بقى منصور بن الحسن حكم عدن ومنطقة لاعة حتى وفاته سنة ٣٠٢ هـ . كما حافظ على تبعيته للخلفاء الفاطميين ائمة الدعوة فى المغرب . . وهو ما يتضح من الرواية التى يوردها الجندى حول وصية منصور لابنه الحسن ولرجل اخر من اصحابه اسمه عبد الله بن العباس الشاوى . يقول الجندى : « وذلك ان منصورا لما احس بالموت جمع بينهما وقال : اوصيكما بهذا الامر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بنى عبيد بن ميمون . . . وعليكما بمكاتبة امامنا المهدى فلا تقطعا امرا دون مشاورته » . (ص ١٥١) .

غير ان الشاورى نجح فى تنحية اولاد منصور واستلام الحكم وذلك بامر من مهدى المغرب على ما يبدو . وهذا ما يفسر قيام احدهم باغتياله والاعلان عن خروجه عن الدعوة والعودة الى السنه . وفى نفس الوقت يذكر الجندى ابنا اخر من ابناء منصور قد خرج على اخيه واعلن ولائه للدعوة وقام بزيارة المهدى فى القيروان سنة ٣٢٢ هـ فوجده قد مات وان الخليفة من بعده هو القائم .

وكان ذلك بداية النهاية بالنسبة للدعوة فى اليمن اذ دب بينهم الخلاف والانشقاقات وتحولوا مع المدة الى فئة سرية ضئيلة بقيت تدعو الى امامة الفاطميين من

ابناء اسماعيل الحاكم بأمر الله (البهاء الجندي ، ص ١٥٢) .

قرامطة البحرين :

ارتبط اسم قرامطة البحرين باسم مؤسس دولتهم ابى سعيد الجنابى . وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو الذى زارهم سنة ٤٢٢ هـ (١٠٥١ م) انهم كانوا « حين يسألون عن مذهبهم يقولون : انا ابو سعيديون » (ناصر خسرو ، **سفرنامه** ، ص ٩٢) .

وقد اختلف فى نسب ابي سعيد الجنابي كما اختلف فى نسب غيره من الدعاة الاسماعيليين فى اماكن اخرى كما رأينا حتى الآن . كما يذكر ايضا ان الجنابي قد ظهر خطأ باسم الجنابي فى بعض المراجع العربية التي لم تميزه عن احد قادة الزنج احمد بن مهدي الجنابي . (راجع مثلا المسعودي . **مروج الذهب** . ج ٢ ص ٥١٣)

ومصدر الخلاف حول نسب الجنابي ينبع فى الاساس عن الغموض الذي يكتنف هوية ونسب الدعاة الذين اشاعوا قصة انتسابهم لاسماعيل وذلك بتفويض من ائمة الدعوة كما اشرنا سابقا . ويظهر ان ذلك هو ما يفسر الرواية التالية التي يوردها المقريزي والتي تقول بأن ابا سعيد قد ولد لأب علوي بينما قام بتربيته رجل آخر من اصل فارسي من جنابا (او جنابه) تزوج امه .

وهذه الرواية التي يوردها المقريزي تقول بأن اسم ابي سعيد الحقيقي هو الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب . وان اباه عليا كان مقيما بهجر حيث خرج وقاتل العريان بن ابراهيم بأرض البحرين وانصرف منها الى القطيف . وبعد ان بنى بأم ابي سعيد خرج من القطيف الى الاحساء وتركها . ثم ولد ابو سعيد وتزوجت امه رجلا من جناب (او جنابا او جنابه) حيث انتسب ابو سعيد ونشأ على انه منها . (**اتعاظ الحنفا** ، ص ١٤ ٢١٤) . اما الاسم الذي عرف به ابو سعيد بعد نشأته فكان ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي .

وقد عرف ياقوت هجر بانها « قاعدة البحرين » واضاف : « البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند (الخليج العربي) بين البصرة وعمان » (راجع **معجم البلدان**) . وبالنسبة لجنابه او جنابا فيذكر ياقوت بأنها بلدة صغيرة من سواحل فارس على الخليج ، وهو يذكر ايضا انه رآها اكثر من مرة وانها « ليست على ساحل البحر الاعظم وانما يدخل عليها فى المراكب فى خليج من البحر الملح يكون بين المدينة والبحر ثلاثة اميال أو اقل ، وقبالتها فى وسط البحر جزيرة خارك وفى شمالها من جهة البصرة مهروبان » . (نفس المصدر) .

ومع ان ايا من المراجع لا يحدد بالضبط السنة التي انتظم فيها ابو سعيد فى سلك الحركة فاننا نميل الى الاعتقاد بأن ذلك قد حدث فى اوائل الثمانينات من القرن الثالث الهجري اي فى اواخر حياة حمدان قرمط او بعد وفاته بقليل . اذ ان المسعودي يذكر ان قرامطة البحرين بدأوا يشكلون خطرا على البصرة سنة ٢٨٦ هـ مما دفع العباسيين الى العمل على تحصينها . ويضيف المسعودي : « وفى هذه السنة (٢٨٦ هـ) كان الفزع من ابي سعيد الجنابي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من ان يكبسها . وكتب الواثقي وهو احمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فاطلق لسورها اربعة عشر الف دينار فبنيت وحصنت . وفيها (اي سنة ٢٨٦ هـ) شخص العباس بن عمرو الغنوي الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين » . (**مروج الذهب** ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤) .

ودليلنا الآخر على ذلك هو ما يرويه المقريزي من ان ابا سعيد قد اخذ اصول الدعوة عن عبدان او حتى عن حمدان قرمط نفسه . وهو ما يثير لدينا تساؤلا آخر حول امكانية كونه قد ارسل من خارج البحرين داعية اليها . يقول المقريزي : « وكان رجل من اهل قرية جنابه يعمل الفراء ، يقال له ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، اصله من الفرس ، سافر الى سواد الكوفة ، وتزوج من قوم يقال لهم بنو القصار كانوا من اصول هذه الدعوة . فأخذ عن عبدان . وقيل بل اخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية فنزل القطيف ـ وهي حينئذ مدينة عظيمة ـ فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان اول من اجابه الحسين بن سنبر وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر فى قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمال وامثال ذلك . . . واتفق ان البلد كان واسعا ولاهله عادة فى الحروب وهم رجال شداد جهال ، فظفر ابو سعيد باشتهار دعوته فى تلك الديار فقاتل بمن اطاعه من عصاه حتى اشتدت شوكته . . . » (**اتعاظ الحنفا** ، ص ٢١٤) .

وبعد ان نجح ابو سعيد فى احتلال هجر عاصمة البحرين واخضاع هذه الاخيرة اتخذ من الاحساء عاصمة له بعد ان حصنها ووسعها . (يذكر ياقوت ان الاحساء جمع حسي « وهو الماء الذي تنشفه الارض من الرمل فاذا صار الى صلابة امسكته ، فتحفر العرب عن الرمل فتستخرجه » . وهو يذكر خطأ ان « اول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر ابو طاهر الحسن بن ابي سعيد الجنابي » . ـ راجع **معجم البلدان**) .

بعد احتلال ابي سعيد لهجر عمل على اخضاع قبائل المنطقة وادخالهم فى دعوته كبني الاضبط من كلاب وبني عقيل وبني ضبه . كما يذكر المقريزي انه حاول احتلال عمان ايضا . غير ان اول اصطدام جدي كان

لقرامطة البحرين مع العباسيين حدث سنة ٢٨٧ هـ حين هاجمهم العباس بن عمرو الغنوي كما ذكرنا . والمسعودي يؤكد ان ذلك قد حدث قبل احتلال ابي سعيد لهجر . (المسعودي ، ص ٤٨٤) . ولعل موقع مدينة الاحساء وطبيعة الصحراء القاحلة هما العاملان الاساسيان اللذان ساعدا على افشال الحملات العباسية على البحرين . اذ يصف ناصر خسرو صعوبة الوصول اليها بقوله : « ولحسا مدينة في الصحراء . وبلوغها عن اي طريق يتبعي اجتياز صحراء واسعة . والبصرة اقرب البلاد الاسلامية التي بها سلطنة الى لحسا . وبينهما خمسون ومائة فرسخ (الفرسخ ثلاثة اميال) . ولم يقصد سلطان من البصرة الى لحسا ابدا » . (**سفرنامه** . ص ٩٢) .

ولعل الحملة العباسية الاولى على البحرين اقنعت ابا سعيد الجنابي بضرورة تنظيم دولته وتقويتها اقتصاديا وعسكريا ، الامر الذي سنتطرق اليه في حينه . ومن الناحية الاخرى فان انشغال العباسيين بقرامطة العراق منعهم من القيام باية محاولة اخرى لاحتلال البحرين خلال التسعينات من القرن الثالث .

وبعد وفاة ابي سعيد سنة ٣٠١ هـ استلم السلطة ابنه الاكبر ابو القاسم سعيد ومن بعده ابنه الثاني ابو طاهر سليمان .

ومع ان المراجع المتوفرة لدينا لا تساعدنا على تقصي تطور العلاقة التي سادت بين قرامطة البحرين وائمة الدعوة في المغرب خلال هذه الفترة فاننا نستطيع القول بان تسلم ابي طاهر سليمان للحكم قد اذن بتحول جذري في سياسة القرامطة الخارجية . الامر الذي تجسد في الهجمات المتكررة التي قام بها هؤلاء على قوافل الحجاج وانتهى باحتلالهم الكعبة ونقلهم الحجر الاسود الى البحرين سنة ٣١٧ هـ . كما تشير بعض المراجع الى ان ابا طاهر سليمان قد فرض ضريبة معينة على الحجاج القادمين من مصر سنة ٣٢٣ هـ .

ولعل ذلك التحول في سياسة القرامطة يرتبط ايضا بكيفية انتقال السلطة من ابي القاسم سعيد الى ابي طاهر سليمان سنة ٣٠٥ هـ . اذ ان المقريزي يذكر ان ابا القاسم قام بتسليم القيادة الى ابي طاهر حسب وصية ابيهما قبل موته . وعلى اي حال فابتداء بسنة ٣١٠ هـ قام ابو طاهر بغزو البصرة واصطدم بابي الهيجاء عبد الله بن حمدان الوالي العباسي على الكوفة والسواد . وفي سنة ٣١٢ هـ هاجم قوافل الحجاج بالقرب من العقبة وغزا الكوفة . ثم خرج مرة اخرى لقتال القائد العباسي ابن ابي الساج بالقرب من واسط . وبعدها تقدم الى بغداد واصطدم مع الجيش العباسي بقيادة مؤنس على بعد ثلاثة فراسخ منها . وعند عودته هاجم الكوفة مرة اخرى وذلك في رمضان سنة ٣١٦ هـ .

وفي ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ دخل مكة وقلع الحجر الاسود وحمله معه الى الاحساء . وعاد وهاجم الكوفة في السنوات ٣١٩ و ٣٢٣ و ٣٢٥ هـ . كما جرد عدة حملات بحرية لمهاجمة سواحل العراق . (راجع المسعودي ، ص ٥١١ – ٥١٣ ، والبغدادي ، ص ١٧٦– ١٧٧ ، والمقريزي ، ص ٢٤٠ – ٢٤٤) .

والربط بين سياسة القرامطة الخارجية من ناحية وبين تطور العلاقة فيما بينهم وبين ائمة الدعوة الفاطميين من ناحية اخرى يتضح من خلال ما يؤكده الكثير من المؤرخين من ان اعادة الحجر الاسود سنة ٣٣٩ هـ قد تمت بامر من الخليفة الفاطمي في مصر . وذلك على الرغم من اختلاف هؤلاء حول من الذي قام عمليا باعادته . فالبغدادي يذكر من ناحية ان الذي تولى ذلك كان علاء الدين بن اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن يحيى بن مزكي نيسابور ، بينما يذهب المقريزي الى انه كان سنبر بن الحسن بن سنبر .

وهذا الاخير يؤكد على ان التغير التدريجي الذي بدا يحدث في سياسة القرامطة الخارجية في اواخر فترة حكم ابي طاهر هو الذي مهد لامتثالهم لامر الخليفة الفاطمي باعادة الحجر الاسود الى مكة . يقول المقريزي : « وبلغ القرمطي ان رجلا من اصحابه قال : والله ما ندري ما عند سيدنا ابي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها واتخاذهم ومن ورائهم اعداء ، وما يفوز باكثر امالهم الا الاعراب والشذاذ . فلو انه حين يظفر بهم دعاهم الى ان يؤدي كل رجل منهم دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم احد وخفف عليهم وهاداه واحتاج اليه في حفظ اهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله من الخراج واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع منه ذلك سلطان اكتسب المذمة وصار عند الناس هو المانع من الحج . فاستصوب القرمطي هذا الراي ونادى من من وقته في الناس بالامان ، واحضر الخراسانية فوطا امرهم على انهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ويكونوا آمنين على انفسهم واموالهم ... ثم ولي تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم على الحاج رسما بالكوفة . فلما كان سنة تسع وثلاثين ارادوا ان يستميلوا الناس فحملوا الحجر الاسود الى الكوفة ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع ... ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر الى مكة وامير مكة معه ... » (**اتعاظ الحنفا** ، ص ٢٤٥) .

وتحسن العلاقة بين ابي طاهر والفاطميين واضح من خلال الرسالة التي بعث بها المعز الدين الفاطمي الى الحسن بن احمد بن ابي سعيد الجنابي (الملقب بالاعصم) حين اثناء تردي تلك العلاقة مرة اخرى في الستينات من القرن الرابع . يقول المعز : « فاما انت

الغادر الخائن الناكث البائن عن عدي آبائه واجداده المنسلخ عن دين اسلافه وانداده والموقد لنار الفتنة والخارج عن الجماعة والسنة فلم اغفل امرك ولاخفي عني خبرك ولا استتر دوني اثرك وانك مني لبمنظر ومسمع كما قال الله جل وعز **انني معا اسمع واري ، ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا** ، فعرفنا على اي راي اضلت واي طريق سلكت ؟ اما كان لك بجدك ابي سعيد اسوة ؟ وبعمك ابي طاهر قدوة ؟ اما نظرت في كتبهم واخبارهم ولا قرات وصاياهم واشعارهم ؟ اكنت غائبا عن ديارهم ، وما كان من آثارهم ؟ الم تعلم انهم كانوا عبارا لنا اولي باس شديد وامر رشيد وعزم اكيد وفعل حميد ، يفيض اليهم موادنا وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الاعمال ودان لهم كل امير و وال ، ولقبوا بالسادة فسادوا منحة منا واسما من اسمائنا ، فعلت اسماؤهم واستعلت هممهم واشتد عزمهم . فسارت اليهم وفود الآفاق .... . فلم يزل ذلك دابهم . وعين الله ترمقهم ، الى ان اختاره لهم ما اختاروه من نقلهم من دار الفناء الى دار البقاء ، ومن نعيم يزول الى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، الى روح وريحان ، وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب » . (المقريزي ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠) .

وبالاضافة الى الاشارة الواضحة الى ان الفاطميين كانوا لا يزالوا يعتبرون قرامطة البحرين فرعا لدعوتهم فان رسالة المعز الى الاعصم قد تضمنت لوم هؤلاء على مهادنتهم للعباسيين والهجمات المتكررة التي قاموا بها على حدود الدولة الفاطمية في مصر وبلاد الشام . (نفس المصدر ، ص ٢٦١ — ٢٦٣) .

وتشير المراجع الى ان النزاع بين الفاطميين والقرامطة ومهاجمة هؤلاء لمصر ولبعض مدن بلاد الشام بقيادة الاعصم قد بدات حال محاولة القائد الفاطمي احتلالها . وكان القرامطة قد دخلوا الرملة وهاجموا دمشق وفرضوا على واليها الحسن بن طغج الاخشيدي ضريبة سنوية يؤديها لهم . وفي سنة ٣٥٨ هـ اثار احتلال القائد الفاطمي جعفر بن فلاح لدمشق النزاع ليس فقط مع القرامطة بل ومع الحمدانيين في منطقة حلب والخليفة العباسي المطيع لله في بغداد ايضا . وبدعم من هذا الاخير هاجم الاعصم دمشق واحتلها سنة ٣٦٠ هـ . كما حاصر الحاميات الفاطمية في الرملة ويافا ايضا ودعا الى الخليفة العباسي من على منابرها واتخذ السواد علما له . وفي سنة ٣٦١ هـ هاجم القرامطة مصر وقاتلوا جوهر الصقلي على ابواب القاهرة . ثم هاجموها بحرا مرات عديدة في السنوات ٣٦٢ — ٣٦٣ هـ . (**النجوم الزاهرة** ، ٤ ، ص ٣١ ، ٥٦ ، ٥٨—٥٩ ، ٧٠ ، ٧٤ — ٧٥ ، ١٢٨) .

وطالما نحن بصدد تتبع العلاقة بين قرامطة البحرين والخلفاء الفاطميين لا بد من التاكيد على ان هؤلاء قد راوا انفسهم في البداية فرعا من فروع الدعوة الاسماعيلية يعملون باسم امامها المكتوم صاحب الحق الاول في زعامة المسلمين السياسية والروحية . وهو ما كانت رسالة المعز الى الاعصم قد اشارت اليه بوضوح كما راينا . وخروج قرامطة البحرين على الدولة العباسية ، كخروج غيرهم من فروع الاسماعيلية شكل تجسيدا لانكارهم على العباسيين حقهم في الخلافة . وهو ما يتضح من خلال الحديث الذي دار بين الخليفة المعتضد وبين قائده العباس بن عمرو الغنوي بعد ان كان ابو سعيد الجنابي قد اطلق سراح هذا الاخير . والمقريزي الذي اورد هذا الحديث يذكر ان ابا سعيد أوصى الغنوي ان يقول للخليفة بانه « لم ياخذ شيئا كان في يده » ، واضاف : « وساله المعتضد عن خبره ، فعرفه جميعه وبلغه ما قال القرمطي فقال (المعتضد) : صدق . ما اخذ شيئا كان في ايدينا » ، واطرق مفكرا ثم رفع راسه وقال : « كذب عدو الله الكافر . المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ... » (المقريزي ، ص ٢١٨—٢١٩) .

وفي السابق كنا قد اشرنا الى ان صدام القرامطة مع العباسيين قد الزمهم باتخاذ اجراءات اقتصادية واجتماعية هامة تكفل لهم بناء دولتهم وتقويتها سياسيا وعسكريا امام خطر الاحتلال الخارجي . وهنا يجدر القول بان ما وصفه بعض المؤرخين من قيام القرامطة بالغاء الملكية الفردية وسيطرة الدولة على وسائل الانتاج وتكريس كون العمل والمبادرة مقياسا لسياسة توزيع الارباح قد شكل مزيجا من التعاليم الاسماعيلية التي وعدت تابعيها بظهور امام الزمان المهدي المنتظر الذي سيملأ الارض عدلا بعد ان ملأت جورا من ناحية وبين مقتضيات نشر الدعوة على قاعدة تميزت دائما بالثورات والتمردات الفلاحية وشكلت منبتاً خصبا لها وحاجة القرامطة في مركزة السلطة وعملية الانتاج من اجل التمكن من صد الاخطار الخارجية من الناحية الثانية .

وفي السابق كنا قد اشرنا الى ما نقله المؤرخون من ان اوائل تابعي ابي سعيد الجنابي كانوا من « قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمّال وامثال ذلك » . وهو ما يتطابق ايضا مع ما كان الحسين الاهوازي قد اكد على ان يشفي اهل القرى وينقذهم ويملكهم ما ملك اصحابهم .

غير اننا لا نستطيع تقبل كون القرامطة قد قاموا بعملية اعادة توزيع الملكية على الفلاحين وان كانوا قد وصلوا الى درجة راقية من توزيع العمل عليها . فالدولة اصبحت المالك الاول لجميع وسائل الانتاج وكرست عملية الاشراف المركزي على عملية الانتاج ككل

ـ مع انها ابقت بعض المجالات مفتوحة امـــام المبادرة الفردية الخاضعة للرقابة .

هـــذه النقطة على جانب كبير من الاهمية . فسياسة قرامطة البحرين الاجتماعية تناسبت مـــع مركزية المفاهيم الثيوقراطية حول الحق المطلق للمهدي ليس فقط كامام بل وكزعيم سياسي ايضـــا . ومن الناحية الاخرى فان الدور الفعال الذي لعبته الدولـة القرمطية كمالك اول وكمشرف مركزي على جميـع مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد تحتم عن الحاجة في بناء الدولة وتقويتها امام الاخطار العسكرية الخارجية . يقول المقريزي : « واقبل ابو سعيد ـ بعد اطلاق العباس ـ على جمع الخيل واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر واتخاذ الابل واصلاح الرجال وضرب السيوف والاسنة ، واتخاذ الروايـــا والمزاد والقوت ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الاعراب عن قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها امر بلده واحواله بالرجال ؛ واصلاح اراضي المزارع واصول النخل ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها . ونصب الامناء على ذلك ، واقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده ان الشاة اذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرّقوه على من ترسّم لهم ... ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله، ثم يدفعه الى من ينسجه عبيا واكسية وغرائر وجوالقات ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلـــد الى الدباغ ثم الى خرازي القرب والروايا والمزاد ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفافا عمل منه ، ثم يجمع كله الى خزائن» (المقريزي ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠) .

من ذلك يتضح كيف ان الدولة القرمطية احتكرت جميع نواحي النشاط الاقتصادي خاصـــة بالنسبة للمرافق الحيوية الضرورية كالاغذية. والمقريزي يضيف: « ... وقبض كل مال في البلـــد والثمـــار والحنطة والشعير ، واقام رعاة للابل والغنم ، ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها على نوب معروفة ؛ واجرى على اصحابه جرايات ، فلم يكن يصل لاحد غير ما يطعمه » . (نفس المصدر ، ص ٢١٦) .

لا حاجة للقول هنا بان سياسة القرامطة هـــذه جاءت في اطار الفهم الاسماعيلي لسلطة الدولة المركزية التي يقف على راسها الامام او من ينوب عنه والذي عرفه الحسين الاهوازي بانه « مالكي ومالكك ومن له الدنيـا والآخرة » . ومن الناحية الاخرى فان اكثر المراجـــع العربية قد طعنت في موقف القرامطة من الدين واتهمتهم بالخروج عن الاسلام وبالكفر والزندقة . اما الرحالـة الاسماعيلي ناصر خسرو فيشير في بعض المواقع المتفرقة الى بعض التسامح لدى القرامطة ومنحهم حرية المعتقد الديني لرعاياهم ويضيف : « وقيل ان سلطانهم كـــان شريفا وقـد ردهم عن الاسلام . وقال اني اعفيتكم من الصلاة والصوم ، ودعاهم الى ان مرجعهم لا يكون الا اليـــه واسمه ابو سعيد . وحين يسالون عن مذهبهم يقولون : انـــا ابو سعيديون . وهم لا يصـــلون ولا يصومون ، ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى اللـه عليه وسلم وبرسالته » . (سفرنامه ص ٩٢) . ويقول في موضع آخر ايضا : « وليس في مدينة لحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة او خطبة . الا ان رجلا فارسيا اسمه علي بن احمد بنى مسجدا ، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا ... واذا صلى احد فانه لا يمنع ، ولكنهم انفسهم لا يصلون . ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ، ولا يشربون مطلقا » . (ص ٩٤) .

ولا ندري اذا كان ناصر خسرو يحاول بذلك الدفاع عن القرامطة عمدا والرد على الطعن بهم . غير انه يشير الى حقيقة كون عدم التقيد بشعائر الدين ونصوصه صفة تلازم المجتمعات البدوية الرعوية بشكل عام ولا تقتصر على القرامطة وحـــدهم . يقول ناصر خسرو : « وعندي ان كل البدو يشبهون اهل لحسـا . ومنهم اناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة . اقول هـــذا عن بصيرة ، لا شيء فيه من الاراجيف ...» (ص ٩٥) .

ومن الناحية الاخرى فان ناصر خسرو يشير الى ان دولة القرامطـــة التي سيطرت على جميع مرافق النشاط الاقتصادي لم تفرض اي نوع من الضرائب . كما وضعت حدا للتعامل بالربى وسيطرت على عمليـة التداول النقدي . يقول ناصر خسرو : « وهم لا ياخذون عشورا من الرعيـــة . واذا افتقر انسان او استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله . واذا كان لاحدهم دين على آخر لا يطالبه باكثر من راس المال الذي له . وكل غريب ينزل هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المـال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ، ويرد الى الحكام ما اخذ حين يشاء . واذا تخرب بيت او طاحون احد الملاك ، ولم تكن لديه القدرة على الاصلاح ، امروا جماعة من عبيدهم بان يذهبـــوا اليه ويصلحوا المنزل او الطاحون ، ولا يطلبون من المالك شيئا . وفي لحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعيـة مجانا ، ويدفع فيها السلطان نفقات اصلاحها واجور الطحانين ... . والبيع والشراء والاخذ والعطاء يتم هناك بواسطة رصاص في زنابيل يزن كل منها ستة آلاف درهم ، فيدفع الثمن عددا من الزنابيل . وهذه العملة لا تسري في الخارج . وينسجون هناك فوطا جميلـــة ويصدرونها للبصرة وغيرها ... . ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ، ولسلاطين لحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه . وفي لحسا ثمر كثير حتى انهم يسمنون به المواشي ويأتي وقت يبـــاع فيه اكثر من الف من

بدينار واحد (وكل مئة من تساوي حمل حمار واحد) . » (ناصر خسرو ، ص ٩٢ ــ ٩٤) .

وعلى الرغم من الطابع الاوتوقراطي الذي ميز سلطة الامام المطلقة في الدعوة الاسماعيلية ، وعلى الرغم من ان السلطة بقيت محصورة في ابناء الجنابي ، فقد تبنى قرامطة البحرين وطوروا صيغة حكم هي اقرب الى المؤسسات الجمهورية المعاصرة . يقول ناصر خسرو : « وقد اوصى (ابو سعيد) ابناءه قائلا : يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من ابنائي يحكمون الناس بالعدل ولا يختلفون فيما بينهم حتى اعود . ولهؤلاء الحكام الان قصر منيف هو دار ملكهم . وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون اوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون ، ولهم ستة وزراء . فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر ويتداولون في كل امر . . . . وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ، ويسمى وزراؤهم الشائرة » . (نفس المصدر ، ص ٩٣) .

ومع ان المعلومات حول بنية الجيش القرمطي لا تزال غير متوفرة لدينا ، فقد قام القرامطة بتجربة رائدة في مجال تشكيل وحدات من حركات الشبيبة الذين تقوم الدولة بتربيتهم وتدريبهم عسكريا . يقول المقريزي : « . . . وجمع (ابو سعيد) الصبيان في دور واقام عليهم قوما واجرى عليهم ما يحتاجون اليه ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ونصب لهم عرفاء واخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان ، فنشاوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعا لهم » . (المقريزي ، ص ٢١٦) .

د. سليمان بشير

الديوان الاول للشاعرة سهام داوود

❋ بعد ثمانية أعوام من الاسهام النشط في الحركة الشعرية المحلية صدرت المجموعة الشعرية الاولى للرفيقة الشاعرة سهام داوود عضو هيئة تحرير جريدة « الاتحاد » . صدرت المجموعة عن منشورات « فلسطين الثورة » ــ الاعلام الموحد م. ت. ف في كانون الثاني من هذا العام . ويحمل هذا الديوان ــ الباكورة عنوان « هكذا أغني » ويضم ٣٢ قصيدة كتبت في فترات متفاوتة . قدم للديوان الناشرون وكتب الناقد سميح سمارة دراسة واسعة حول شعر سهام والحركة الشعرية المحلية عامة . « الجديد » تهنىء الرفيقة سهام داوود بهذه المجموعة وتتمنى لها مزيدا من الابداع في خدمة القضية والشعب والوطن .

قصائد مختارة من شعر جيوم ابوللينير

● ترجمها : ناجي ظاهر ●

بعد سنتين يكون قد مر على ميلاد الشاعرالفرنسي ، الذي لا زال يقرأ الى اليوم ـ وبنفس القدر الذي قرىء به من قبل ـ جيوم ابوللينير ـ مئة عام ، ويكون قد مر على موته ستون عاما كاملة .

نقدم بهذه المناسبة ـ قصائد مختارة من شعر ابوللينير ، آملين ان نكون قد قمنا ، ولو بقدر ضئيل في احياء ذكراه ـ التي تكتسب في كل يوم سواء في ساحة الشعر الفرنسي او العالمي ـ الكثير من البهاء والكثير من الرونق .

● جسر ميرابــو ●

تتدفق ميــاه ((السّين)) تحت جسر ميرابو
ومع ميــاه ((السّين)) يتدفق حبنــا
ولكن لمــاذا أجعلهــا تتذكر ؟
بعــد هــذا ؟!
تعــال الليلة فالساعة تدق
والايــام تمضي وانــا لا ازال انتظر
وجهــا لوجه نقف ، ويــداً بيــد
ان عيوننــا ـ ترى العــالم اكثر
تعــال الليلة فالساعة تدق
والايــام تمضي وانــا لا ازال انتظر
الحب يذهب كالميــاه التي تنســاب
الحب يذهب
مــاذا أحمل الايــام ؟!
وكم يوجد مثلنــا محزونون ؟
تعــال الليلة فالساعة تدق
والايــام تمضي وانــا لا ازال انتظر
الايــام تمضي والاســابيع تمضي
لا اللحظــات تعــود
ولا الحب ـ يعــود ـ
تحت جسر ميرابــو تنداح ميــاه ((السّين))
والايــام تمضي وانــا لا ازال انتظر .

● أنــا ●

في منطقة تكســاس
بين حرش موبيل وجلبسطون
يوجد بستان كبير مليء بالورود
وفي حضنه فيله ، كبيرة
إنها وردة كبيرة ايضا
منذ مدة قريبة ، كانت امراة مشردة
تتنزه في الطريق المرصع بالاشجــار
كانت انظارنــا تلتقي
وكانت هذه المراة فيما يبدو مجهولة الاصل
لأن ملابسها كانت تنقصها ورود وازرار
وكان يظهر ايضا ان سنوات تنقصها ايضا
يظهر أننا أنــا وهذه المرأة ، ننتمي الى نفس الجماعة .

● كلــوتلــد ●

تتفتــح في الجنــة
هنــا ملخوليــا[1] قديمــه
بين الحب والألم يقفز ظلانــا
وفي الظلام يفترقــان
يسود وجهيهمــا الصهد[2]
ومع الصهد يذهبــان .
إنهن حوريــات البحر ، بيد ان في الذهــاب
شبكة من ذهب .
إنك تركض لتقبض عليه \ ذلك الظل الجميل ، الذي تحب .

---

١ ـ مرض مزمن
٢ ـ حرارة الشمس

❋ عز الدين المناصرة ❋

لا تغازلوا الاشجار .. حتى نعود

١ ـ الانتخابات :

« كنعان » ... ما زال فى القلعة القديمه
ونحت انقاض البيوت
بلدينه البيضاء
سمعنه اللواتى عدن من النبع بعد
غروب الشمس

ورأينه اللواتى شاهدن ما نقشنه يدا :
« عيد عابدى » وغرشون كنيسبل .
يفز من ضريحه الممتد على طول القرى
ويصيح :

انقذونى من « غوش امونيم »
ويقال ان فرسه الشهباء تصهل حتى
مطلع الفجر

تعدو راكضة فى السهول والبرارى
ليستيقظ المرج من نومه .
فز المرج شاهرا جماهيره
وظل صوت كنعان يدوى فى الساحل
حتى جاءت النتائج مشرقة
فى الانتخابات .

٢ ـ سبحان التدفئة :

ما لزفير الثلج يهددنا بالقتل
نحن الاعراب قدمنا من رمل النار
الى « حديقة الحرية » .
نجاس خلف النوافذ عند اقدامك يا أبيض
نتلذذ بالمارة فى طرقات الزمهرير
ونهتف قرب التدفئة :
سبحان التدفئه .

٣ ـ العطلة الصيفية :

عملت حمالا ـ ليس فى مرافىء البحار
بل فى « ربة عمون »
كنت اصعد « جبل السرور » حاملا على
ظهرى :

الخضار والفواكه
طفولتى الشقيه
والسيدة تمشى ورائى
تحثنى على السرعه
« فالوقت من ذهب »
وعندما كنت اقف لاستريح
تنهرنى
فالحفلة تقترب
وانا الهث كالكلب
اتطلع الى شفاهها المطلية بالحنون
الاصطناعى

احلم ببداية العام الدراسى الجديد .

٤ ـ قصيدة التوطين :

ادخل فى جوهر صلبك
امتزج مع ترائبك المفعمة بالعشب
واعوى كالذئب المجروح
اركض تحت المطر فى الوديان
السيل يركض ايضا
اخذك وامضى مع الريح
اغترفك
كما الجرافات الاسرائيليه
حين تغترف القرى العربيه
اتمدد فيك فتصرخين تحت المطر :

العاصفة قادمه .

❋❋❋

شجرة المنفى ... يا شجرة المنفى
الا تحتملينى هذه الليله
فالبرد شديد .
والله العظيم الذى تؤمنين بـه
يا شجرة المنفى
اننى لا انوى الاقامه .

٥ ـ الاستاذ الاشقر مثل الانجليز :

من شارع «عين ساره» ... الى «الحلحول»
تقفين كالمارد المشحون
صلبة كشجرة البلوط الشماليه
كان ابراهيم قد زرعك قبل الرحيل
يزورك السياح وجنود البدو
يرتعون فى بساتينك على الجانبين كالجراد.

من شارع «عين ساره» ..الى « حلحول»
هرعت النساء الى باب المدينه
ينتظرن تلاميذ المدارس
فى عام ١٩٦٢
وانت تحبسين الدمع الممتد
من شارع « عين ساره » .. حتى مرج
«اميل حبيبى » الاخضر
المرج الذي نعرفه من بطاقات السياحة

❋❋❋

٦ ـ هل الرحيل مقتصر على احبابه ؟

فنز العصفور بن الطائر على الشجره
وقاطعنى بالبكاء على احبابه الراحلين .
ما ذنبى يا « جفرا » .. اذا كان الفصل
صيفا
وامطرت الدنيا فى حديقة المدينه .
ما ذنبى يا جفرا ؟
اذا خرج العصفور بن الطائر

في هذا الفجر الحنون
وقاطعني بالبكاء على أحبابه الراحلين .
لماذا يذكرني الطائر بن الطائر بن الطائر ؟؟
بأحبابه الراحلين
هل الرحيل مقتصر على أحبابه ؟؟
ابـــن الطائر .

٧ ـ مقبرة الشهداء :

ذهبت في هذا الصباح المبكر جدا
الى مقبرة الشهداء :
الارزة عاليـــه
الجبل أزرق
البحر قد بدأ يصحو من هنائه الطويل
والشارع المترامي على مد النظر
يسكنه الغول المدني .
ذهبت في هذا الفجر الى مقبرة الشهداء
غازلت اشجار الارز
واتعظت « قليلا »
بالذين فعلوا التجربة من قبلي .

٨ ـ لك المجد يــا امرأ القيس :

سوف أقول لك شيئـــا
وسوف تتذكرينه بالخير أو بالشر
لا يهمني يا جفـــرا
اذا كان قلبك من أصداف « صيـــــدا »
و « صور »
أو من زجاج « الخليل » .
سوف تقولين يوما يا جفرا :
لك المجد يا « امرأ القيس » .

٩ـ كم أنــا حسن النية :

أصفر ، أصفر ، أصفر .. كالمقبره .
ـ واسألوا القاموس اذا لم تصدقوني ـ
هكذا كان وجهه الاجاصي .
لكنها كانت تقبله « كثيرا » .. قرب المحطه
فعرفت انها لم تكن .. صفراء كالمقبرة
انه الفراق يا مجنونة القلب والشرايين
لان شعرك أشقر كزبيب الخليل
وشعره كالحجر الاسود
واحسرتاه .. كم أنا حسن النيه .

١٠ ـ لا تغــازل الاشجــار .. حتى أعود :

لا تغازل الاشجار .. حتى أعود .
لا بأس اذا غازلت شجرة الحمى
التي تجلس بالقرب منك
عطرها ليس من قشر البرتقال
لا بأس أن تعصر «الخليل» قطرة ، قطره
وتشرب كأسك حتى النزف
في آخر هذا الليل الموحش .
واحذر من الجرســون
فان بسمته كالجبنة الكشكوان .
واحذر: القبيحات ـ المتوسطات والجميلات
بعد المطر .. تاتي العصافير يا رفيق
مبللة الريش
وليس لك سوى ارتعاشاتها
لك زبد البحـــر
ولهـــم البحر
« حقا انه زمن أسود »
يا برتولد بريشت .

١١ ـ التشبيـــه :

أزرق ، أزرق .. هو الجبل
في عاصمة المنفى .
بيضاء ، بيضـاء ... سوالف الهضبه .
ابيض ، ابيض .. كامرأة اضطرت لذلك .
انظـــرى
أحمر ، احمر .. كالطهاره
اخضر ، أخضر .. كالممارسة الثوريه
أيها الصباح الملىء بالترقبات :
يرحل الجبـــل
الكنيسة ترحل أيضا
ويمكنكم اقتلاع المسجد من جذوره
يا عاصمة المنفى ـ الحديقه
قلبي ينز طينا أحمر
وأنت تهزأين مني قائلة
« أيها الرومانتيكي »
وأنا اسألك عن « التضامن العربي »
هل يستطيع ان يمنعني
من اعتصار جبال المنفى
هل يستطيع أن يمنعني
من تشبيهها بتضاريس قلبي البعيدة ؟؟ .

١٢ ـ سورة ـ بوشكين :

تعتريني الكآبة حين يجيء الشتاء
أقول : لماذا هو الثلج أحمر
حين يذرذر قطنه الوطني
من مطار « صوفيا » .. حتى جبـــــل
« الفيتوشاه »
تفتح المدينة بابها لكرنفال الثلج
وأنت أيها الامي الرائع
المزمل بايديولوجيا الفقراء
تكلم لي عن ثلج الايام الآتيه
خبب الشوق في شراييني
وأنات الرحلات اسودت
وأنا اعدو الى الطابور الطويل
ـ هنا يسمونه « اوباشكا » ـ
مثل كل الاعـــراب
باحثا عن دمي الذي نزف على الثلج
في يوم كهذا من شهر ديسمبر ١٩٧٧
كانوا يجرونني بالسلاسل
نحو قبو التعذيب « الثوري »
وغرغر الدم في فمي .. يا « نفيسه »
والله لقد غرغر الدم .

***

من أراد منكم ان يعرف التفاصيل
فليقرأ سورة بوشكين :
اليوم وفي مثل هذه الساعه
سيكون نصيبي من التذكار
كدموع عيسى .. في يوم الصلب

***

تمر السنوات الاربعـــون
والبدوي لا ينسى دمه المهراق
على ثلج المنافي
يا مجنونة القلب والشرايين .

١٣ ـ استقبال القائد :

القائد في قاعة الاستقبال الرسميه
الحواريون يؤدون صلوات اضافيه
وأنا كعادتي الرديئه
لا أريد ان التزم بالقافيه .
كم انتقدنا القائد معا أيها الرفاق ليلة امس
واذا أردتم الدقـــه
في الساعة السابعة والدقيقة العشرين
هل سأقول للقائـــد :
« كم انت عظيم ايها القائد »
لان الرفاق قالوا ذلك مئة مرة قبلي
أم سأرحل من القاعة فورا
ثم كيف اشرح لزوجتي أيها الرفاق
ما سمعته ليلة الامس
في الساعة السابعة والدقيقة الاربعـــين
عندما كان الثلج يئث في الخارج
على شجيرات دائمة الخضرة
وكانت الشجيرات شاهدة على ذلك .

١٤ ـ رقصة عكا :

زوجتك غير منقفة أيها الرفيق
فهي لا تدخــن
ولا تشرب الوسكى
ولا ترقص على أنغام فرقة «البوني .. خـــا»
زوجتك غير منقفة على الاطلاق يا رفيق .

***

ارقصي أيتها الحبيبــه
لى وحدى ارقصى
ارقصى « رقصة عكا »
فانا قادم من العالم الحادي عشر
وساظل احبــك
حتى يكف بحر عكا عن الهدير .

١٥ ـ تحومين كابريق الزيت :

ليتك الآن ترين دمـــوعي
ايتها السيدة الحزينــه
اقلعت كرومك فاضطررت للانشاد :
الطفل العجوز الراكب فى قطارات المنفى
مدعيا انه سيلقاك ذات يوم :
الطائر الاخضـــر
يطير فوق الطين والزعرور
يبنى عشه بين اغصان الصنوبر
حتى لا تاتى العاصفه
و « تقحش » ـ « الدحى » .
انه بانتظارى
يحوم فى ليالى الشتاء
وفى محطات القطارات
كابريق الزيت .

١٦ ـ الست انت القائل ...؟

ادعت المدينــه
انني غير قادر على مواجهتها
وحين اقتربنا ، صرخت فى وجهى :
الست انت القائل ..؟
حينئذ امتشقت خنجرى
وتسللت فى الظلام
وتوجهت نحو حتفى .

١٧ ـ لصوص الاوسمة

حين تدوى طبول الحرب
نهرع نحن الفقـــراء
لسد ثقوب اقفائهم .
وحين تبدأ الاعياد الرسميه
تكثر حفلات توزيع الاوسمة والدروع :
الطواويس يجلسون فى الصف الاول
اما صقور الليالى ،
المتشحة بالبرد ورائحة البارود
فيدعون ايضا والحق يقال
الى حفلات توزيع الاوسمة والدروع
يجلسون كالديكور
لتزيين القاعــه
لزيادة عدد المصفقين
حين تصعد الطواويس الى المنصه .

***

ساقول لك ايها السيد :
لقد حصلنا على نياشين كثيرة
لا تفنى ولا تستحدث
تدعى « الشعب » .. ايها السيد .

١٨ ـ عوامل التعرية :

قدمى اليسرى
اصابتها شظية من الحرب
يـــدى اليسرى
تزحلقت على ثلج كالصابون
عينى اليسرى
ازعجها أحد لصوص القبيله .
ومـــا زلت اشــكو
من قدمى اليسرى
يـــدى اليسرى
عينى اليسرى
من الحـــرب
من الجليـــد
ومن لصوص القبيله .

***

فى تلك الليلة
صرخت كالديك الذبيح
وهم يلقون هراواتهم .. على جسدى النحيـــل
كان الدم يعفر بنطلونى .. يا جفرا .

***

فى ذلك النهـــار
كنت اركض بين البستان .. و « كنيسة مار مخائيل »
عندما هبطت القذيفة كالملاك المزعج
لكن التراب حمانا .

***

اما الثلج الذى كالصابون
فتلك عوامل التعريه يا جفرا .

١٩ ـ الفقراء وحدهم يعرفون :

استند الى حائط الشارع .. ك «...» .
مدعيا أننى انتظر الترام
وانا انتظر .. « حيفا »
تمــر
لا تمــر
تمــر
لا تمــر
تمــر
والله العظيم الذى تؤمنين به يا جفرا
اننى لا اعرف : متى ؟
ولا أنت يا جفــرا
ولا هم يعرفون ذلك .

٢٠ ـ عباس .. فى التكنة الوطنية :

مسكين انت يـــا « عبـــاس »
مسكين انت يا ابن أمى وابى
مسكين .
خبات عمامة الشيوخ فى تلافيفك
واعتقدت ان ذلك
سيقيك برد الشتاء وصهيل القيظ
كنت تعتقد ان النار لا تحرق العمائم
بل ستكون بردا وسلاما باذنه :
لانك لم تسرق
لانك لم تـــزن
لانك لم تشرب الخمر
ها أنت تجرب بنفسك
ها هم يجلدونك بالسياط المقدسه
ويجرونك الى التكنة الوطنيه
لانك أحببت « السوفييت » فى تلك المرة .
وجلادوك يا عبـــاس
يحملون تلافيف الشيـــوخ
فى أدمغتهم الوطنيـــه
مسكين أنت يا عبـــاس
لقد تعفر بنطلونى بالدم مثلك
مسكين أنت يا ابن أمى وأبى .

٢١ ـ حاجز اللغــة :

وقف حاجز اللغة قبل سنوات
بيننا وبين الحقل والبندقية والمصنع
وها نحن نعـــود الان .
فاغفروا لنـــا
اغفروا لنا ما تقدم من ذنبنا
ـ « صح النوم » يا رئيس التحرير .

٢٢ ـ لا تغازلي البحر .. حتى نعود :

اطلي ضفائرك ، كي احبك اكثر
فقد كنت أحب أمي كثيرا
اذهبي الى البحر .. ومازحيه
امسحي جسدك بالرمل والشعاع
وتمددي
ضعي قدميك فى راس الخليج
وراسك فى وهج الرمل
فقد كانت أمي سمراء .. وطويله
تركض كشجرة الميس
فى مرج ابن عامر
واحسرتاه .

٢٣ ـ شجرة الميس :

امي يا أمي يا أمي
يا شجرة الميس السمراء
بعد ثلاثين عاما
هل حلت مشكلة البئر
بين والدى ـ الذى على حق
ورجال القبيلة ـ المدلجون فى الليل
واحسرتاه يا شجرة الميس
بيننا وبينكم جدار
عمره ثلاثون سنه
هل ما زلت سمراء .. وطويله .

٢٤ ـ المخبر فى المنفى :

المخبر .. يمر كالكلب
حتى هنا فى المنفى
انقم منه يا جفرا ـ بقلبى
وانا استطيع اكثر من ذلك .
يمر هنا فى المنفى
وفى مطاعم الغربه
هل تصدقين يا جفرا
اننى اشفق عليه

لانه غريب مثلى
لكنه لا يدرك غربته
ولا يحب مغازلة الاشجار الغريبه .

٢٥ ـ نهر الليطاني :

بعد سماع نشرة الاخبار
يكون لى نصيب من الموت
كاى مواطن صالح .
ساظل ابكى عند نهر الليطانى
الذى ينبع الان ويصب
فى هذا المقهى الرمادى
فى مدينة خضراء كالحديقه
تدعى « صوفيا » .

٢٦ ـ عائشة ... التي في «اريحا» :

ـ لماذا بدا قلبي بالرفيف ايها الجرسونه ؟
ـ لاننى اشبه عائشة التى فى اريحا ـ
ايها الفتى .
ظلت والله العظيم الذى تؤمنين به
يا عائشه
ـ رغم الفواصل غير الموسيقيه ـ
اذكر سمرتك ونخيل قلبك يا اخشاء
وما زلت يا عائشه .
ان مررت على الربع القديم فبلغيه السلام
ولا تغازلي « عين السلطان » .. حتى
نعود .

٢٧ ـ مملكة الحجر :

مملكة الحجر .. يا مملكة الحجر
اننى احبك يا مملكة الحجر
جرار الذهب فى مغاور البريه
الكنعانيون يقيمون حضاره
انت تضحكين
هم فى السجون
هى كانت طالبة فى الجامعه
مملكة الحجر .. يا مملكة الحجر

انهم يترجمونك الان الى اللغة العبرية .

٢٨ ـ أربعة منافي :

اربعة منافى وانت الان منفى
والنشطيون
يتابعون خطوانى ـ والحق يقال ـ
بموضوعيه
ويدفعون الاموال ـ والحق يقال ـ بسخاء
والمنفى من حجر قلبه .. يا نفيسه
تولى لابناء العمومة
هل حلت مشكلة البئر
وفقا لدائرة الطباشير القوقازيه ؟ .
اربعة منافى وانت الان سجن
اربعة منافى وانت الان ثورة
تولى لابناء العمومة
لماذا تبتسمين فى اعراس الشهداء ؟ .

٢٩ ـ عروس البحر ـ ١٩٧٤ :

اريد أن انقل مدينة الحدائق
الى مدينة الحرائق .
ومدينة الحرائق .. الى مدينة الحدائق .
او
احمل الجبل والبحر والارز والمدينه
واطير
اطير
حتى تصبح الديمة السكوب
خاضعة لارادتنا الوطنيه .
غدا سوف يقيمون حرزا من الصلوات
بينى .. وبين .. « الحمام العسكرى »
هناك ـ سقا الله
كانت تلهو « عروس البحر »
وتحتفل بعيد ميلادها الخمسين .
لا تغازلى الاشجار .. حتى أعود
يا بيروت ـ الطعنة والميلاد
دانا ضالع فى مؤامرة الحنين الابدى .

ـ عز الدين المناصرة ـ
بلغاريا

❋ قصة مصرية ❋

الوجبة

❋ جمال الغيطانى ❋

(١)

❋ اليوم . لم تتوقف طويلا امام اى شقة فى الطوابق الخمسة ، اكتفت بايماءة راس سريعة وكلمات قليلة لجاراتها اللواتى فتحن ابوابهن ، جلسن امامها يتحدثن ، عادة بعد رجوعها من السوق او زيارة احد الاولياء تتوقف ، تلتقط انفاسها ، السلم المؤدى من طابق الى طابق يتكون من ثمانية عشر درجة حجرية يحفها درابزين خشبى قديم يهتز اذا ما استند اليه احد ، يدور حديثها مع جاراتها حول اسعار الخضر فى السوق ، الشكوى من غلاء الاحوال ، لقاء بامراة عرفتها يوما ، خبر زواج ، موت احد المعارف ، استفسار عن احتمال تخفيض سعر الكهرباء ؟؟ اليوم لم تتوقف ، صعدت بحملها الثقيل حقيبة البلاستيك ، تبرز منها ترنبيطة ، قرطاس تبلل ورقة بضغط ثمرات الطماطم اللينة ، بصل ، كرات وبقدونس ، اليوم يجىء من الشهر الى الشهر ،تنتظره ستة وعشرين يوما ، لاوقت تضيعه وصلت السطح اضطرت الى التوقف لحظات قبل ان تقطع الخطوتين المتبقيتين الى باب الحجرة ، الضوء منبسط ، دافىء ، عدا مساحة متساوية مغطاة بظلال سور السطح الواطىء سقف الغرفة مغطى بصناديق خشبية قديمة، قوالب احذية خشبية ، صفيح ، زجاجات فارغة امتلات يوما بعطور ، باحبار بادوية بقايا مكان قدامى تداولوا على الحجرة اكوام من التراب وقطع الحجارة ، او الشتاء اهتزت جدران الغرفة برياح عالية الصوب ، نفذت من فراغات غير مرئية ، تهز لهب المصباح البدوى ثم جاءت الامطار ابتل الفراش ، سقط المطر على البلاط المكشوف بصوت عال كصنوبر لم يحكم اغلاقه ، عندما وصل ابدى خوفا عليها واهتماما ، سالها ، هل ابتلت ؟ هل ارتعشت ؟ طمانته كعادتها ، لو هاجمتها اقسى الاوجاع ، لو وخذتها الابر ، لا تلفظ آهة الم حتى تزعجه ، نزل يومها الى الحارة عادبمعطف ملاوه ترابا واحجارا صغيرة ، صعد فوق سلم خشبى قصير امسكته بيدها حتى لايهتز ، نزل مرة اخرى ، فى نهاية اليوم كدس اكواما من التراب حتى لايتسرب اليها المطر ، لم تخبره بدخول الهواء البارد كسن المقص من الشقوق الخفيفة فى الجدران حتى لايشغل وقت الاجازة كله ، انها تفك الان حزاما من قطعة قماش مبرومة ، ربطت به ملاءتها اللف حول خصرها ، يبرز اصبع قدميها الكبيرمن تهتك اصاب مقدمة الحذاء البلاستونيل، تنظر بارتياح الى الحجرة ، منذ ثلاثة ايام غسلت غطاء السرير ، اخفت المساحة المحترقة منه ناحية الجدار ولفته باحكام حول المرتبة نظفت زجاج النافذة ، وازالت عنه عنكبوتا تكون فى الركن الاعلى المواجه للسرير فى الفراغ رائحة البلاط القديم الممسوح ، من المسمار المغروس فى الجدار يتدلى جلبابه . . .

(٢)

تتطلع الى الظل ، تتعرف على الوقت من حركة الظلال الرمادية ، قبل المغرب بوقت كاف يتم كل شىء ، منذ وصوله لاتقوم الا بتسخين الطعام فقط ، بعد ان يخلع ثيابه ويغسل وجهه فى دورة مياه التى تقوم عند الطرف الاخر من السطح . يخرج مشمرا بنطلونه ، انها تخرج اوانى عديدة الان : صينية ، مصفاة طماطم ، هاون نحاس قديم ، حلة الومنيوم متوسطة الحجم ، سكين قصيرة ، تنتزع القشور الخارجية للبصل ، تقطع راس الثمرات بالسكين ، طعناتها قصيرة بالطول ثم العرض يتساقط فتات البصل ، تتوقف ، تمسح انفها بظهر يدها ، تغمض عينيها ، تفتحهما ، آلاف المرات التى لامست فيها الرائحة اغشية انفها لم تصبها بتلبد ، تمسح يدها بجوانب جلبابها ، انها تبتسم ، يميل راسها ،

تصفو ملامحها بتأثير صور قديمة . يوم انتظاره يجيئها سيل من تلك الايام . تذكره الان صغيرا ، يعود من المدرسة . عندما يراها تقشر البصل او تمصر الطماطم يصيح انه سينزل فى الحارة ويرجع ، تومىء موافقة ، لكنه يعود بعد قفزة لعشر درجات من السلم، يسالها . متى ستنتهى من الطبيخ ؟ تقول ، حالا ، يجلس القرفصاءبجانبها ، عندما يبدأ اللون البنى يتسرب الى البصل تطلب منه ان ياتى بنصف رغيف ، تضع فيه قليلا من التقلية ، تطلب منه ان يتصبر حتى ينتهى الطبيخ ويجىء ابوه ، فى الصباح تعطيه نصف رغيف محشو فولا ، اثناء نزوله السلم تصيح عليه كى يحذر عبث الصبية ومحاولتهم خطف طعامه وكراريسه .

ان ملامحها تصمت فجاة ، تلم للحظات شفتيها الى داخل فمها ، تعيدهما الى وضعهما الطبيعى ، تتحرك مرات متنقلة بين الحجرة ودورات المياه وعشة قديمة صغيرة تضع بها الثوم والبصل وكيلو بامية مجففة وآنية فخار مكسورة العنق ، اخر ماتبقى لديها من اوان جاءت بها من الصعيد منذ سنين بعيدة ، تتامل الظل ، يغطى جزء اكبر من السطح لكنه لم يصل بعد الى صف البلاط الرابع ، لازال الوقت مبكرا على آذان العصر ، يمكنها ان تصلى الظهر حاضرا .

(٣)

تقول دائما عن موقد البريموس انه « عشرة » العمر الان تدفع الكباس ، تعلو النيران تتقدمها خيوط دخان تبدو ظلالها على البلاط اشد كثافة من توامها فى الفراغ تتراجع الى الخلف حتى تنتظم النيران، كثيرا ما قال لها ، ابتعدى حتى لاتلمس النيران شعرك، قوائم الموقد الثلاث تميل قليلا عن وضعها الطبيعى يبدو على اثنتين منها لحام حديث ، لايمر اسبوع الا وتنزل به الى سباك قريب ، اقذار كثيرة تراكمت على نحاسه الاصفر تجمدت فكانها جزءا منه لم يستمر انتظام النيران طويلا نفخت بفمها ، صاحت ، اعتدل والا خبطتك فى الارض ، يضحك عندما يسمعها تزعق هكذا ، تنحنى ممسكة الابرة تحاول تسليك ثقب الغاز ، ترتجف النيران مرات ثم تنتظم زهرة من لهب تتوج الموقد النحاسى . تقول بارتياح ..

« اكمل جميلك حتى تنتهى الطبخة .. لاتفنى »

يئز صوت النيران ، بملعقة صغيرة تفرغ الكوب المتلىء حتى نصفه بالسمن ، تتحول القطع المتجمدة الى سائل اصفر يزدحم بفقاقيع صغيرة متألقة ،تتلاشى وتنمو من جديد ، يبدو السمن المنصهر متأهبا لاستقبال البصل والفلفل وعصير الطماطم ، اشعة الشمس تتدفق كالمطرق الساخن ازيز الموقد يدركه وهن ، تصيح ..

« خلى عندك دم . . . لم يبق وقت لدلعك »

آخر اجازة لحظ تعبها مع موقد البريموس ،

اقترب منها فى الصباح المبكر . امسك كتفيها فى احدى المرات القليلة التى تتلامس فيها ايديهما انهما يتواجهان تتحرك فى حبه وعطفه فهو ما تبقى لها ، ينتابه حنين واحترام لان العجوز التى لم تهدا طوال حياتها ، يقول لزملائه انه لم يرها نائمة ابدا . ودائما تقوم قبله وتنام بعده ، تترقرق مشاعره لكنهما لايتبادلان القبلات ، لايعبران عما يشعران به بالكلمات غير انه فى اخر اجازة احاطها بذراعية ، قال ..

« ولايهمك .. بعد انهاء الخدمة ساشترى لك بوتجاز »

همست بخجل وسرور ..

« تجيبه لبيتك يابنى ان شاء الله »

(٤)

آذان العصر من المساجد القريبة ، مذياع بعيد ، تقوم الى الصورة تحتضن الفراغ بعينيها ، بعد صلاة الجمعة فى تلك الايام البعيدة يجلس اول السلم ، يصغى الى برنامج ساعة لقلبك ، ربما يقفلونه او يخفضونه ، عندئذ لاتنتهى قعدته مباشرة انما يمكث قليلا ثم يقطع السلم عدة مرات قبل ان يتكىء الى السور متاملا هذه المآذن البعيدة ، تنظر الان الى مئذنة الحسين الرشيقة، النحيلة ، طافت المقام ودعت له ان يشفيه من مرض او يوفقه فى المدرسة او يثبته فى الوظيفة ، منذ ذهابه الى الجهادية تدعو له ، لزملائه لكل ابناء الناس الذين يعيشون فى الخطر ، تدعو لزملاءه فى الملجأ ، تعرف اسم كل منهم ، تلفظ الان دعاءها « شاء الله ياسيدنا الحسين » ، غبار معلق يضفى على البيوت البعيدة رمادية داكنة ، اما البيوت القريبة فيميل طلاؤها على اختلافه الى اصفرار بتاثير الشمس المنكسرة باتجاه المغيب ، بعد ساعات سيتمدد فوق السرير وتقعد فوق الارض ، راسها يحاذى صدره ، يسالها ضاحكا عن الاخبار ، تحكى عن البيت ، عن الخناقات ، عما راته اثناء زياراتها للاولياء ، يقاطعها ..

« خذى بالك وانت تعبرين شريط الترام .. »

ستحدثه عن اهتمام محمد الخضرى بها وقوله بصوت مرتفع لصبيه اسماعيل « اقضى حاجة الست الحاجة .. ادع لنا ياما » وردها عليه « الله يبارك لك فى رزقك » ، الان تتطلع الى الطريق ، مارة ، جلابيب، قمصان ، بنطلونات ، طفل يدحرج طوقا ، رجل يعانق رجلا ، يتراجع لحظة براسه ثم يستانف العناق ، فوق سطح المصبغة يمشى رجل يحمل خيوطا صوفية مبلولة ينشرها على اعمدة خشبية ممتدة ، يصيح مناديا شخصا اسمه « حسين » ..

(٥)

بطرف لسانها تتذوق الطبيخ بعد ان اضافت ملحا منذ عشر دقائق اضافت نصف كوب من الماء ، فى المكان نفسه الذى ينز فيه الموقد الان جلست امام الطشت ، فوق كرسى الحمام يقعد فى مواجهتها ، يحدثها عن استاذ العربى الطيب ، واستاذ العلوم القاسى ، الاول لايضرب والثانى يقسو على التلاميذ،تصغى اليه ، تدعو لاستاذ العربى وتلعن مدرس العلوم ، بين الحين والحين تطلب منه ان يناولها صابونة او كوز الصفيح ، شاء المرحوم ان يعلمه حتى النهاية ، لكن الزمن يبدل ويغير ، الان يعلو صوت المذياع ، تنظر الى الطريق ثلاث فتيات ، سقاء يدفع عربة محملة بقرب المياه، يخفق قلبها فجأة ،جندى عند المنحنى ، لكنه قصير ، غطاء راسه اسود اللون تستطيع تمييز قامته وطريقة مشيته ، تماما كالمرحوم والده ، انحناءة جذع الجسم الاعلى الى الامام قليلا ، ربما لان ثقل جسمه يستند الى اطراف اصابع قدميه ، تذكر الان اخر مرة خرج فيها ، تابعته فى بداية النهار الرائق كالحليب ، فى الفناء رفع راسه مبتسما ، اختفى تابعته ، مدت جسدها الى اقصى ما تستطيع ، عند المنحنى توقف لحظة ،عدل وضع غطاء راسه الازرق ، كثيرا ما قالت لجاراتها انه فى « الصاعقة » ، عندما تسمع اسم منطقة الكاب فى احد البيانات العسكرية يهبط قلبها داخل جسدها مقدار اصبعين متجاورين ، اذا تصادف لقاءها باحدى صاحباتها وسالتها عنه ، تقول انه فى الكاب ، وتفكر « الصاعقة هناك » .

ان ازيز الموقد يتوقف اما لنفاذ الكيروسين اولعدم دفعها الكباس لفترة ..

مصباح اضىء .

ان ثقبا يفرى صدرها ، ينبعث ضوء آخر من دكان سعيد البقال ، ايدى خفية تنثر الضوء فى الفراغ، قرآن من مذياع قريب « والضحى والليل اذا سجى ، ما ودعك ربك وماقلا » .. تعجز عن تمييز الملامح مع نزول الليل لكنها تستطيع رؤية جرسون مقهى الميدان يرش الارض استعدادا لاستقبال الزبائن الليليين .عند الطرف القصى للرصيف المحاط بسور حديدى يجلس شخص ما يدخن نرجيلة وضعت امامه منذ دقائق، ترفع عينيها الى السماء الرمادية ، ترجو النهار الايرحل والليل الا يقبل ، تود لو غفت عينيها قليلا ، تفتحها لتجده امامها يوقظها ، منذ سنوات طويلة لاتذكر مقدارها ، وضعته فوق السرير طفلا رضيعا نائما، تعدت خارج الغرفة تغسل بعض ثياب المرحوم،صباح شتوى عتيق لاتدرى الان فى اى السنوات هو لكنها تعى حدة الهواء البارد وكثافة الغمام فى السماء ،اهتز الباب بتاثير الهواء ، لم تنتبه الا على صوت اصطدامه، اغلقت الحجرة تماما ، المفتاح بالداخل ، دارت بمينيها حولها راحت ، جاءت ، نزلت الى جارتها الست روحية، « الحقيني يا ام كاميليا » ، راحت تبكى ، طمأنتها،جاءت ام سعدية ايضا ، وتقف يعالجن الباب ، انزوت هى بعيدا عنهن تعض اصبعها بقسوة تبكى ، عندما نجحن وفتحن الباب ، اسرعت ، وجدته نائما ، لم توقظه الضجة ، احتضنته تقبله ، لم تتوقف عن البكاء ، صاحت الست روحية :

« الولد سليم والحمدلله .. والباب فتح .. لماذا تبكين ؟ »

(٦)

تتوالد النجوم بكثافة ، تخف الرجل من الطرقات تبدو العدوة فى خطى العابرين ، يسرع الترام ، حركة ما بعد العاشرة ليلا او الحادية عشر لاتدرى ، الظلال غطت الدنيا واسود لونها ، كيف ستميز الوقت ؟ هل اخطات فى حساب التاريخ ، بالضبط اليوم اثنين ، لم تجلس منذ ساعات يسرى نمل خشن تحت جلد ساقيها تستدير ، من تسال ؟ الى اين تمضى ، انها فى اشد الحاجة الى الحديث مع .. مع من ؟ لو جاء فى ميعاده لبدات جلستها الليلية منذ فترة ، تبتعد عن السطح ، تعود لتطل تزحف برودة على الطريق ، ربما عبره فى تلك اللحظات التى ولت بنظرها عنه ، تبتعد عن السور مرة اخرى ، لاتنتبه الى الموقد الهامد ، البارد ، ولاتشعر بوجود الاناء الذى يحوى الطبيخ فى فراغ السطح ، لم ترفع غطاؤه لم تغرف منه ، لم يرفع اللقمة المغموسة فى المرق ويقول «وحشتنى اكلك»، لم تمسك بقطعة لحم وتصر على ان ياكلها ، يجيبها بانه شبع وامام الحاحها يقول « تعزمين على » .. انا غريب ؟ انها تعبر السطح بسرعة ، تذكر المرحوم اذ يعطى للصغير نصيبه ، ثم يعطيها نصيبها ، تقسم ما اخذته قسمين ، لايمكن ان تدخل لقمة الى فمها لم يذقها ، تنزل الدرجات ، كتفاها هابطتان ، تحت حمل صغير منظور ، تقف امام باب الست روحية ، صوت اناء ، الاسطى حمدى الترزى يطلب كوب ماء ، شبشب ياط فوق بلاط الصالة ، عبر الباب المغلق تشم رائحة هذا الحديث الليلى والاسترخاء المتعب ، ابواب الشقق التى اغلقت ولن تفتح الا صباح الغد ، لاينتظرن زائر وقدوم غريب او قريب ضيافا ضحكة بعيدة ، كيف ستطرق الباب ؟ فراغ البيت مثقل برائحة هى مزيج من اثار بصل ، اثاث قديم،بلاط ممسوح ، مبيدات حشرية ، عطن غامض ، الشقق كليا مغلقة ، آخر اجازة قال نفس العبارة التى اعتاد لفظها عند ذهابه :

« اذا خبط احد الباب .. لاتفتحي الا اذا تأكدت اولا .. من هو ؟ »

(٧)

تضيع بقايا اضواء البيوت . دوائر النور الشاحب تحت المصابيح في الطريق البعيد ، انها وحيدة تماما مع الليل ، صفير قطار بعيد كالانين ، ربما يجلس باحدي عرباته ، ربما يقترب الان ، ربما يعبر الناحية الغربية يفتح باب التكسي او الاتوبيس او يقفز من عربة نقل ، ربما يحث الخطى ممسكا حقيبة اليد التي تمتلىء بثيابه الداخلية وغموض الوجه ، اعتادت ان تغسلهم كل اجازة وتنشرهم على الحبل الممتد فوقها ، ربما يجتاز نقطة ما على الطريق الصحراوي في بطن الليل ، ربما يحملق بعينيه مفكرا فيها وكيف سيلقاها .. ربما ... ⁂

(الحجرة رقم ٢ ــ بقيــــة)

انتثر من مكانه بشدة . تصدع المخبأ . انهار بعضه . قفز الى الامام وبدأ يقذف . « محاصر انا . ماذا سيقولون عندما يكتشفوني » . الانوار المنبعثة من الطلقات والانفجارات تلون الوجه الصبياني ، صوت حاد . انفجر جسده . ارتطمت احدى ساقيه بجدار قريب . تدفق نهر الدم امتدت يده تتحسس قدمه الثانية لم يجدها . لم يدر اين وقعت . انفلت الدم . ضاعت الاصوات . اظلت ملامح الاشياء من ثقوب ذاكرته .. ضاع في غيبوبة .. ابو سعيد يركض نحوه يركض يركض .. صمت ، دم . دخلوا المخبأ . الانوار الكاشفة سطعت فوق النزف . ما عثروا على غيره . نقلوه . بوق سيارة الاسعاف يلعلع في شؤم . الجسد المشوه فوق السرير . الراس مغطاة بالقطن . خرطوم دقيق يمر في احدى طاقتي الانف . الابرة المدببة ما زالت تقطر في الشريان . حاولوا ان يستجوبوه مرات . فشلوا . فتح احدهم اوراقا في يده . سال كثيرا ولم ينطق اجابة . اغتاظ بسرعة لانه لا يرى عيونا ينظر اليها . كان امامه نصف جسده . وخراطيم بول ودم وغلوكوز . حمل اوراقه وانسحب ساخطا . آخر مرة حضر فيها كان الاطباء حول السرير . تشنج الفم . انفتح مرات وانغلق . تدفق من فمه سائل كريه فوق الفراش الابيض . ثم تدفق الدم ورديا من طاقتي انفه وفمه بشدة ، وتقلصت اصابعه وانضغطت . ثم فتح فمه لآخر مرة . ومات . قطرات البول ظلت تنزل في الوعاء البلاستكي الشفاف . غناء عصافير قرب النافذة المطلة على الحديقة . الغناء حزين . دفعت العربة بالجثة المصرورة بثياب بيضاء عبر الممر ، بقعة دم حمراء كانت تفشي في الثوب الابيض .. وكنت اتصورك وانت تدفع العربة معي عبر الممر الطويل .

(علي الطريق ــ بقيــــة)

الثانية اقبض على الوخزات في معدتي ...

ــ اشد معها الى الامام حسب تعليمات الطبيبة ..!

ــ اشدها ... اتركها ... اشدها ... اتركها ... ويتصبب العرق بغزارة وتغيب عينا زوجتي ... تغيب ويصفر الوجه الطيب الحلو المحمر دائما ، وتعود الانات ، والآلة المسجلة لدقات قلب الجنين تضرب ... تضرب ... تضرب ... وقلبي يضرب ... عيناي ... اذناي ... نفسي ... اصابعي تضرب ...!!

كان رائعا ان تضع زوجتي في النهار ... في عز النهار .. يوم السبت ، لست ادري لماذا !؟ لكنه كان رائعا !

كان باستطاعتي ان ارقص على ارصفة حيفا جميعها لولا ان غيمة حجبت وجه الشمس ... تهب النسمات وتتلاعب بالغيمة ...

ــ بعد ثلاثة ايام كنا في السيارة ثلاثة عند نقطة التفتيش نفسها والضابط نفسه .

ــ افحصوا السيارة بدقة ! انهيتم ؟

ــ ماذا تحمل بين يديها ؟؟

طلبت الى زوجتي أن تزيح الغطاء ونظرت اليه ببطء ...

ــ انه وجه ميسلون الذي لم تستطع ان توقف ولادته !!

ــ جمحت السيارة ... جمحت ... ونحن في داخلها ، عائدين مع ميسلون على طريق حيفا ــ عكا .

عصام خوري ــ عكا

« الى ابنتي ميسلون كي تعلم لماذا انت » .

الوجه والصورة

● ادمون شحادة ●

من وسط الشنب .. ضباب البحر ، يطل الوجه
عصوراً مثلومه
وجراحاً .. يخرج من اوراق الكتب ـ التاريخ ـ يعيد
ويتلو الاسطوره

لهبٌ .. وسناء ،
وتلال تلو جبال .. تعلو تتهاوى
تثقل وِزرَ الورَّاقين ، وتعشي العين المشطوره ،
ما بين الشجر النامي فى الافواه ...
وبين الصخر الملقى فى الاحشاء .
هل ينبت فوق قوافل ذاك الصيف ... وذاك الشهر الشتوي

صمغ .. وسنابل خيل .. ورحيل ؟
لا ـ بعد اليوم ـ وان جاءت إثر الطوفان .

نبكي او نصرخ ، ننشد او نرقص ،
نتلوّى مثل غصون البان ، والظمآن ،
والرمل سطور فوق جبين البحر .. وسادة عشاقه ،
يا هذا الشيء المفقود بصورة احلام رعاة الغنم الصحراوي ،
يا تمر نخيلي ، السابح بين الفيم وبين الطل
حلو او مر طعمك ، أنت الراغب والمرغوب

مهما ارتفعت قاماتك ، مهما طالت أعناقك ،
وتناثر منك الشوك .. حراباً فى الاجساد
ما زلت الراغب والمرغوب .

. . . . . .

شمس ... وسلاسل حب .. وصباح
وفتاة فى عمر الورد لها جسد فائر ،
يتقمص فيها الوجه ... فواصل كرٍّ وكفاح ،
وتناسخ ذات الارواح السبعة
تتدله فى شفقي ،

او تنضج مثل دماء الغسق المذبوح على الافاق .
يا ارضاً تعبث فيها الذروة والقيعان ،
يا ذات الوجه الوجه المدلوح على صدر المصلوبين ،
يا راحة كف تحرث فيها الأزمان شقوقاً ازلية ،
كفصول الوهم .. كجوع التائه والمنفيّ .
سقطت أورام الخوف
وتعالت فوق رياض النور ، الأسطورة
واطل الوجه
إتسع .. أشتعل .. اكتسح الراغب والمرغوب .

إدمون شحادة ـ الناصرة

شاهد عندما رافق **كيسنجر** الى **الرياض** اناسا كثيريـن يبدو عليهم المكر والتقلب . أما فى شبكة ال اى. بى. سى. A B C فاستنتج المحلل ان العرب وحدهم هم المسؤولون عن الاربع حروب التى شهدها الشـرق الاوسط . وفى اليوم الاول من حرب تشريـن نقد تمنى أحد المعلقين لاسرائيل النجاح من خـلال استعراضـه للاحـداث .

لقد اشغلت هذه الحقائق عن الصورة السلبية او القوالب النمطية السلبية للانسان العربى فى امريكـا كثيرا من المفكرين . واليوم تكتسب هذه القضية اهمية اكبر بسبب الدور الذى تلعبه الادارة الامريكية فى الشرق الاوسط وامكانية تاثير هذه القوالب على الراى العـام الامريكى وبذلك امكانية استعمالها لتبرير اى قرار او اجراء معاد للعرب .

وتبدو الامثلة اكثر الوسائل توضيحـا لعمـق المفاهيم السلبية التى يحملها الامريكيون بشكل عام عن الانسان العربى . ففى دراسة للدكتـور **اياد القزاز** (نشرت فى عدد آذار من « **دراسات عربيـة** » ١٩٧٥ ، الصادرة عن دار **الطليعة فى بيروت**) ترد بعض الامثلة التى قد تصعب على التصديق . فى ربيع ١٩٧١ أجـاب تلاميذ صف ثامن فى احدى المدارس الامريكيـة علـى السؤال « **ما هى صورة العربى لديـك** » ؟ بالشكـل التالى : **العرب لا يلبسون ملابس داخلية ، انهم جميعا بدو على غرار الهيبى ؛ لكل العرب زوجات متعددات ؛ معظم الرجال يطلقون لحاهم ؛ الجمل وسيلتهم الوحيدة فى الانتقال ؛ كل النساء العـرب يتحلـين كمية مـن المجوهرات ؛ كل العرب على دين محمد .**

وقد أجاب بعض المرشحين للعمـل فى شركـة **ارامكو** للنفط على السؤال « **ما هو الاسلام ؟ ومن هو النبى محمد ؟** » باجابات تؤكد عمق الجهل بكل الموضوع فقد كان من بين الاجابات ان « **الاسلام لعبة حظ مماثلة للعبة الشطرنج** » او « **انه طائفة غامضة اسستهـا فى الجنوب الامريكى منظمة كوكلـوس كلان** » او انـه « **منظمة من الماسونيين الامريكيين يرتدى أفرادهـا ملابس غريبة** » .

اما عن **النبى محمد** فاعتقد احدهم انه **مؤلف الف ليلة وليلة** واعتقد آخر انه **قس زنجى امريكى** واقتـرب احدهم الى « **الحقيقة** » حيث قال **ان « محمد له علاقة ما بجبل ، اما انه ذهب الى الجبل او ان الجبل اتى اليه »** .

ويقول القزاز ان احد زملائه فى الدراسة ممن يعتقدون ان لديه معلومات دقيقة عن العرب يعرف انه « **لا بـد للمسلم ان يركع فى الصحراء كل يوم ويصلى لجمله** » .

ويلخص القزاز الصورة التى يرسمها الامريكى للانسان العربى من خلال جميع وسائل الاعلام بما يلى : « **قذر ، بذىء ، غير مغتسل ، مخادع ، لا ضميـر له ، دنىء ، متخلف ، بدائى ، متوحش ، شهوانى ، متهوس جنسيا ، محب وله ، قدرى ، كسول ، غير طموح ، متقلـب ، ماكر ، نصف عار ، مندفع ، متعصب وغوغـائى** » . كما يميزون « **براقصات هز البطـن ، الصحـراء ، الجمال ، الزعماء الفاسدون والحروب المقدسة** » .

ويحاول **القزاز** هو الآخر ان يتناول بالدراسـة الاسباب والدوافع وراء القوالب النمطية السلبية عن الانسان العربى ويعزو ذلك الى ما يلى :

١ — **التطاحن القديم بين المسيحية والاسلام** وخاصة فى العصور الوسطى ، ومحاولة تشويه الاسـلام والتراث الاسلامى والسيرة . ويؤكد القزاز ان الكثير من الدارسين والمستشرقين يعبرون عن كراهيتهم للعرب تحت ستار المدرسية والموضوعية مما يزيد الصـورة سلبية .

٢ — **كتاب الف ليلة وليلة** اذ يخلـط الكثير مـن الامريكيين — على رأى القـزاز — بين الحكايـات والقصص الغريبة المذكورة فى الكتاب وبين الواقـع الحالى .

٣ — **البداوة** ، اذ يربط الناس بين البـداوة وبـين العرب ويميلون الى الاعتقاد ان جميع العرب بـدو يعيشون فى الصحراء حيث وسيلتهم الوحيدة للانتقـال هى الجمل .

٤ — **الصراع العربى الاسرائيلى** . ويقارن هنا بـين الصورة المشرقة للاسرائيلى وبين الصورة القاتمـة للعربى وخاصة الفلسطينى « المخرب » ويعزو ذلك الى اجهزة الاعلام الجماهيرية التى غالبا ما يوجهها صهاينة .

٥ — **اجهزة الاعلام الجماهيرية** ، ويركز القزاز هنـا على دور الصحافة كاحد المصادر المهمـة التى تـزود الامريكى بالمعلومات عن البلدان الاجنبية . ويذكـر ان الانباء الخارجية تحتل مساحات صغيـرة فى الصحـف الامريكية ولها قراء قليلون . وفى الغالب فهى مواليـة لاسرائيل وتسهم فى تشكيل رأى عام موال لها ومعـاد للعرب .

٦ — **الكتب المدرسية** ، ففى المكان القليل المخصص للشرق الاوسط تكرس هذه الكتب صورة العربى الذى يسكن الصحراء ويرعى القطعان ويركب الجمـال ، والنساء العربيات المحجبات والملابس التقليدية .

ويعتقد القزاز ان هذه العوامل الستة مجتمعـة تكفى لتفسر تفسيـرا معقولا الصورة البشعة للعربى عند الامريكيين . وقد لاحظنا ان شاهين يعتقد ان « **صحافة الاغداق** » التى تعرض الصحفيين ورجـال الاعـلام « **للانزلاق الايديولوجى** » هى السبـب الرئيسى . ان جميع الاسباب التى يذكرها الدارسان ما هى فى الحقيقة

الا **الوسائل** التى بواسطتها يستطيع جهاز التربية الاعلامية الامريكى ان يكرس الصورة التى يختارها للعربى . بمعنى آخر انه لو كان الهدف هو عرض صورة ايجابية للانسان العربى فان جميع العوامل التى ذكرها التزاز ستتحول بين عشية وضحاها الى مصادر لتجميل القالب النمطى للانسان العربى اذ سيشددون فيها على العناصر الجمالية والايجابية وسيمنعون التشويه . فاذا كانوا يستطيعون ان يجعلوا من التطبيق الصهيونى فى اسرائيل ومن الاحتلال للاراضى العربية ومن الملاحقة السادية للشعب الفلسطينى ــ اذا استطاعوا ان يجعلوا من كل ذلك طلائعية وتحويل الصحراء الى جنة ، ودفاعا عن النفس ، فلن يصعب على العمليات الاعلامية الامريكية الضخمة والمعقدة ان تعرض الانسان العربى بموضوعية ، لا اكثر ولا اقل وان تتحاشى المغالطات .

كما ذكرت سابقا ، لا يجب التقليل من اهمية العوامل التى ذكرها شاهين ، الا انه يجب ان ندرك ان « **الاغداق الصحفى** » هو وسيلة لتضليل الاذرع المنفذة فى وسائل الاعلام الجماهيرية وانه لو اراد الاعلام الرسمى الامريكى ان يعرض صورة الانسان العربى والصراع العربى الاسرائيلى بشكل موضوعى لما كانت تخفى عليه الوسائل ولما كانت تنقصه المصادر المادية ، ولما كان يعوزه الكادر المستعد للعرض الموضوعى ؛ والاهم من كل ذلك لما كانت تنقصه المواد الاعلامية .

ان الذى احاول ان اشدده هنا ، اننا يجب ان نبحث عن الدوافع وراء العرض المشوه المقصود للانسان العربى فى وسائل الاعلام الجماهيرية الامريكية وبذلك تخليد قالب نمطى بشع وقذر للانسان العربى . ويجب الانتباه الى المسؤول عن هذا العرض ليس هذه الصحيفة أو تلك او شبكة تلفزيون معينة او فيلم وثائقى خاص ، ان كل ذلك ينخرط فى جو معد سلفا ومدروس وهادف ، والمسؤول عنه هو الاعلام الرسمى .

ما هو الهدف وراء هذه الصورة ؟ هذا هو السؤال الحقيقى . اذا عرفنا الهدف فانه سيصبح من الممكن تقصير الطريقة للمعالجة الجذرية للمسألة .

من الناحية التاريخية ، يمكن ارجاع ظاهرة تشويه الواقع عن العرب ، اظهارهم كحاملى صفات سلبية كثيرة الى اوائل الفترة الاستعمارية . ففى حينه واليوم ايضا ، لم تكن هذه العملية خاصة بالعرب فقط ، لقد استعملها المستعمرون ضد جميع الشعوب المستعمرة . وكان المستعمرون يشددون على تخلف الشعوب المستعمرة حتى يعللوا امام العالم وامام شعوبهم وامام انفسهم وضع يدهم على مصائر الشعوب الاخرى ونهب خيراتها وثرواتها .

ومن الناحية النفسية الاجتماعية فان العملية متاصلة فى عملية تبرير بسيطة . على المستوى الفردى يجب ان تجد لنفسك مبررا حتى تقوم بأى عمل تضر به انسانا آخر او مجموعة من الناس اذا لم يكن لذلك العمل اى سبب منطقى . وقد اثبتت الدراسات النفسية الاجتماعية ان الانسان يجب ان يجد لنفسه مبررا يعلل بواسطته اتخاذه لاعمال تضر بالآخرين (او بالعكس) بعد اتخاذ تلك الاعمال . بكلمات اخرى ، اذا استطعت ان تجعل احد الاشخاص ان يتخذ اجراءات سلبية او ايجابية تجاه انسان آخر ، موقف الاول الاساسى منه هو حيادى ، فانه بالتالى سيغير موقفه فى اتجاه الاجراء الذى اتخذه . وعندما نأتى لتطبيق هذه العملية على ما يجرى اليوم من عرض سلبى جدا للانسان العربى فى وسائل الاعلام الامريكية (والغربية بشكل عام) فقد نجد انفسنا امام عرض مبسط وبدائى للامور . ولكن مع ذلك فان هذا المبدأ سيسهل فهم العملية بشكل اعمق .

وفى خضم الصراع الكونى الدائر بين ايديولوجيتين اساسيتين مختلفتين ، وفى حقبة تحرر شعوب العالم الثالث ومن ضمنها الشعوب العربية نجد انفسنا امام صورة غاية فى التعقيد وفهمها يتطلب دراستها من نواح متعددة جدا . لكننا نستطيع ان نلاحظ ان الانظمة الراسمالية ما زالت تستغل بشكل بشع ثروات الشعوب الاخرى فى الاساس لصالح الطبقة الراسمالية من شعوبها . واذا كنا نعلم ان الطبقة العاملة فى الانظمة الراسمالية تعيش بمستوى اكثر رفعة من نظيراتها فى الدول المستغلة الا اننا يجب ان نلاحظ انها هى الاخرى تعانى من استغلال الطبقة الراسمالية الحاكمة . لذلك فان الطبقة العاملة فى الانظمة المستغلة موجودة ــ بشكل ما ــ فى نفس المتراس مع الشعوب المستغلة . ومن هنا نجد ان عملية التشويه لصورة الشعوب المستغلة تفرضها وتشجعها وتنميها الطبقة المستغلة فى الانظمة الراسمالية وهدفها هو ان تبرر سلب ثروات الشعوب الاخرى وان تعرقل عملية الوعى الطبقى فى شعوبها وان تمنع امكانية الوعى للواقع المشترك بين الطبقة العاملة المستغلة وبين الشعوب المستغلة . وحسب التفسير النفسى الاجتماعى الذى ذكر سابقا نجد انه كلما كان الاستغلال اشد كلما استوجب الامر عرضا اكثر سلبية لصورة المستغل حتى يجدوا مبررا للاستغلال . ولا يخفى علينا انه بعد اوائل القرن الحالى وحين تكشفت ثروات العالم العربى البترولية اخذ العالم الراسمالى باستغلال شره لتلك الثروات . وبعد الحرب العالمية الثانية حيث تمركز الاستغلال فى النظام الراسمالى الاضخم ، وهو النظام الامريكى ، اخذت عملية التبرير تفترض اكثر واكثر ان

يعرض الانسان العربي بشكل متخلف ، قذر وملوث في وسائل الاعلام الامريكية ؛ لان هذا العرض يفترض ايضا ان انسانا بهذه النوعية (والذي عرضه شاهين من ناحية والقزاز من ناحية) لا يستحق تلك الثروات الضخمة .

بهذا المعنى نجد ان عملية التشويه مقصودة ، وان جميع الاسباب التي عرضها القزاز هي وسائل فقط لتخليد هذا التشويه . اذ انه لو عرض الانسان العربي بشكل واقعي فلن يجد المستغلون علة لاستغلال شعب يناضل من اجل التحرر الاجتماعي والوطني وضد الاستغلال من قبل الانظمة الاخرى ومن اجل توزيع ثرواته وموارده الطبيعية لمصلحة تقدمه واسراع عملية رقيه . ولو كان القصد هو عرض موضوعي للعمليات الاجتماعية السياسية التي تجري في داخل العالم العربي وللانسان العربي لوجد الامريكيون — كما تجد الشعوب المحبة للسلام — ان جميع الوسائل التي ذكرت سابقا ومن ضمنها الصراع العربي الاسرائيلي هي وسائل لعرض موضوعي ايجابي .

ان استغلال الشعوب مقرون بعرض سلبي لهذه الشعوب يبرر عملية النهب والاستغلال . وغالبا ما يأتي العرض السلبي بعد عملية الاستغلال نفسها . والامثلة على ذلك متعددة جدا ويكفي ان ننظر حولنا لنرى ان النظام الاسرائيلي يعمل نفس الشيء ونفس عملية التبرير تماما وابرز الامثلة هو اعلان بعض المسؤولين الاسرائيليين سابقا وحاليا انه ليس هناك شعب فلسطيني (اذ انه لو كان هناك شعب فلسطيني لما وجدوا تعليلا لاخذ الارض وطرد الشعب والاستيلاء على الوطن) ، وان الفلسطينيين مخربون (لانهم لو لم يكونوا مخربين لما كان تعليل لعمليات التشريد المستمرة ضد شعب باكمله) ، والشعب المصري اصبح اليوم فقط في الواقع شعبا مسالما ولطيفا ومحبا للنكتة (لانه لو لم يكن كذلك لما وجد التعليل للصلح المنفرد) وطبعا هذا ينطبق على السياسة الرسمية الاسرائيلية تجاه العرب في الداخل .

يبقى ان نلاحظ ان هناك مكانا ايضا للعرض الايجابي لبعض العرب في وسائل الاعلام الامريكية . وتماشيا مع التحليل السابق فان الذين يعرضون بشكل ايجابي هم اولاء الذين يسهلون تمرير عملية الاستغلال . فالنظام المصري اليوم هو نظام يعمل من اجل ارساء القواعد الدمقراطية التي هدمها النظام السابق ، وبينما يصور النظام الليبي (عندما يتعرضون له) على انه نظام يقهر الجماهير ولا يعرف شيئا عن التطبيق الدمقراطي وليس فيه حريات شخصية ، فلا يتعرضون بالمساس للنظام المغربي او التونسي . واذا اخذنا مثالا شرق اوسطيا آخر فقد كان الشاه « هو المحدث ، رائد الثورة البيضاء ، صاحب عمليات التطوير المكثفة والذي اراد لشعب ايران ان يلحق ركب الحضارة والعصرية » بينما التحرك الشعبي الجماهيري الضخم هو « تحرك ضد الاتجاهات العصرية للشاه » وتابع من مخاوف دينية معادية للحضارة الغربية . اما واحة الدمقراطية الابدية في الشرق الاوسط فتبقى اسرائيل (والتي هي ايضا تتعرض في احايين متباعدة لكشف بعض الحقائق عنها اذا بالغت في عرقلة السلام الامريكي المبرمج الذي يضمن استمرار الاستغلال) . واضح تماما ان كل من يسهل على عملية الاستغلال هو متحضر وعصري ودمقراطي ويعرض بشكل ايجابي .

ان محاربة الصورة البشعة للانسان العربي في وسائل الاعلام الامريكية هي عملية صعبة لان كل عرض ايجابي قد يعرقل عملية الاستغلال . وسيجد الاعلام العربي التقدمي صعوبات شاقة جدا في التوجه الى الجماهير الامريكية متخطيا العراقيل التي تضعها امامه الطبقة الحاكمة . وتنبع الصعوبة ايضا من ان بعض الانظمة العربية على الرغم من معرفتها بما يجري لن تتحمس للتعاون في عرض الصورة على حقيقتها لان ذلك فيه مساس لها وكشف لمصالحها الطبقية . وبسبب صعوبة مقاومة القوالب النمطية التي يبنيها الفرد لنفسه عن الآخرين . فهي تستطيع ان تبقى حتى بعد التعرف على حقائق مغايرة لها وبعد المرور بتجارب مناقضة لها . والصعوبة في تعديلها ناتجة ايضا عن طرق تكوينها التي لا مجال للتطرق لها هنا ، ولكن هذه الصعوبة لا تخفى على الذين يحاولون باستمرار تكريس هذه الصورة .

ان العرض السلبي للانسان العربي مرتبط جذريا بالصراع العربي الاسرائيلي ، واذا لم يكن هنا متسع لتأكيد هذه العلاقة باسهاب فانه من الواضح ان محاربة الصورة السلبية تتطلب ايضا اعلاما مكثفا عن القضية العربية . لذلك فامام الاعلام العربي تحديات غير سهلة ، ولكن مع ذلك ، فبسبب عدالة القضية العربية ، ولاننا يجب ان نفترض ان الرأي العام موقفه الاساسي من كل الصراع هو الحياد ، وان موقفه الآن ناتج عن تشويه جذري للحقائق ، فيستطيع الاعلام العربي ان يعمل على عدة مستويات . الا ان الامر يتطلب — لاهميته — اعلاما محدثا متطورا ، مدروسا وواعيا لجميع العمليات السياسية والاجتماعية والنفسية . ففي التالي قد تستغل كل هذه القوالب النمطية السلبية للعربي كتعليل اتخاذ بعض الاجراءات السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية ضد الشعوب العربية .

نديم روحانا — استراليا

« الجـــرح أو البـــذرة المشتعلـــة فى الكـــف »

● زكي العيلـة ●

حول مجموعة محمد ايوب القصصية «الوحش»

العلاقة فيما بين الاديب ومجتمعه علاقة حقيقية لا يمكن اغفالها او التغاضي عنها حيث ان قضايا الناس تظل فى اول الامر وآخره محور واساس تفكير ومدركات الاديب الحق ...

من هنا جاءت المطالبة بالمزيد من التلاحم والترابط بين الكاتب وواقعه حيث تقع على الاديب مهام تنبيه القارىء الى كل ما هو هادف مع تمهيد الطريق نحو حل معضلات الناس ومشكلاتهم ...

... الادب تبصر ونفاذ شمولي وادراك لمشكلات الواقع وبشاعاته وليس مجرد تزاويق شكليـــة او تنظيرات عبثية ...

... فى مقدمته لمجموعته القصصية الاولى يقول الكاتب محمد ايوب : (كلما ازداد حظ الكاتب من الوعي ازدادت نظرته رحابة وشمولا ورهف حسه وتسامقت انسانيته واحس ان البشر كل البشر نسج واحد) ..

من هنا وعبر النظرة الرؤيوية للانسان والحياة دونما فردية او تذبذب يتخطى الادب كافـــة الاطر البرجوازية التي تحاول من خلال تفريـــغ الادب من مضامينه الثورية (التقويد) لاشكال ادبية هروبية تكرس الاغتراب والتستر الطبقي ... ولعلي اتفق مع الصديق محمد ايوب حين يصور العمل الادبي على انه (مرآة للمجتمع والعصر الذي يحياه الكاتب) ..

المرآة هنا محصلة تفاعل وعمل نضالي وموقف شمولي دؤوب ونتاج متبادل لن يتم ولن يتأتى الا بالمزيد من الانخراط والتعمق فى مكونات واساسيات الواقع المطروح ...

... فى مقدمته لمجموعته يحاول (ايوب) ان يطرح دونما جلجلة رؤيته ومحصلة تفاعله مع الحياة والادب مؤكدا عبر ذلك كله على حتمية انتصار اوسع الجمـــاهير على مضطهديها وادوات قهرها فى خاتمة المشوار ...

وليعذرني القـــارىء اذا ما تخطيت المقدمتين لنتلمس عن كثب مواقف ومدركات الكـاتب ازاء مـا يطرحه من قضايا ومعالجات ...

★ فى قصة (خالد) ينقلنا الكاتب الى زخم ومعمعان المرحلة .. الى واقـــع الجرح المشتعل فى الكف عبر احداث زمنية متفاوتة التقدمة والتأخير ...

(خالد) هنا قضيـــة واضحة . اداة نضاليـــة تتجسد فى اكثر من موقف ودلالة ...

نتعرف باديء ذي بدء على شخصية ام خليل (ام خالد) التي فقدت ابنها الاكبر وزوجها ومن خلال تيار وعي ذلك الانموذج وعبر الموازنات التي يعقدها الكاتب فيما بين العوالم الداخليـــة والخارجيـــة نستطيع الاستدلال على ما يدور فى كوامن تلك المرأة من معاناة وآمـــال ...

... وعبر وجبـــات الاكـــل المقنن والطوابير المرصوصة امام مراكز التموين نتلمس الضنك والقهر الذي يطحن تلك النماذج الانسانية (بعد العصر سناكل الغدا والعشا مرة واحدة ... لازم نوفر وجبة) .

وعبر المعاناة يتنامى التحدي ... لا يجد الكف بدأ من مقارعة المخرز ليصبح الصدام مع الاحتلال اكثر من موقف وضرورة .

... ومن خلال الصور المتتابعة تطالعنـــا تلك النماذج الصابرة وقد تجمعت حـــول منزل وجنازة الشهيد (خـــالد) كدلالة على التـــلاحم الجماهيري والانصهار الثوري ...

ورغم الدم النازف من جرح فوق القلب ... رغم الحصار .. تهتف (ام خالد) فى وجه من جاء يخبرها بأن كنتها (زوجة خالد) قد اتاها المخاض : (شوفولها الداية ... يا اختي ام حسن اقعدي جنبها ... وان اجاها ولد سموه خالد) ص ٢٨ .

الكاتب يضعنا امام الحقيقة دفعة واحدة مدللا على ثقة وعزيمة انساننا الفلسطيني وتجذره بارضه .. لذا كان خالد نتيجة منطقية وردة فعل حتيقية لواقع

القهر والاذلال ...

وان خالط عرض الكاتب لموضوعته بعض الرومانسيه (المختزنه في اعماق اعماقنا) كما في محاوله والدة الشهيد تهدئه البائين على ولدها في ختام القصه.

★ في « البذرة تتمرد » تبرز من خلال الصورة التي يرسمها (ايوب) ملامح ورؤى جديدة للفتاة الفلسطينيه الرافضه لواقع القهر والاحتلال ...

تشد الفتاة (الانموذج) نظر بطلنا ببساطتها وحزنها ووجهها العادي والمألوف .. تشده اكثر خارطة للوطن معلقة بالوانها الاربعة في رقبتها ...

(إنها من خطيبي تحتها هناك خلف الجدران في بئر السبع .. مد يده بها خلال فتحة صغيرة اثناء زيارتي له ... انها قلبه يعانق قلبي وستظل تتعانق حتى تهدم الجدران) ص ٣٢ .

البذرة تتمرد على الكمون والسكون طلبا للحياه لتتعمق ولتمتد اكثر فاكثر كل الاشجار العطشى ...

(كان يبيت عندنا عندما اخذوه وما زالت الزنزانة حبلى من تسع سنين لقد تأخر المخاض) .

(ولكنه سيأتي بلا شك .. سيكون مولودا ليس ككل الاطفال) ص ٣٣ .

.. وعبر لغة موحية ... تتوه البذرة في القلب باحثة عن قطرة ماء تقهر بها الكمون وليبدأ العطاء ...

... يتنامى الحدث ... تمرق الصور وتظل الخريطة بالوانها المتعددة وصورة كل سبع شرب من تلك البئر او سيشرب مصدر العاطفة والنبض الانساني الموزع في قلبيهما ...

البذرة تنمو والبراعم تخضر وتظل الثورة في اول الامر وآخره المصب والرافد والمنبع الحقيقي .

(محمد ايوب) في بذرته المتمردة يبتعد كثيرا عن الشكل السردي المألوف حيث تتلفع الصياغة عنده بالدفق الايحائي .. في محاولة منه لمزج المعاناة الذاتيه بالحلم والواقع ...

★ في (شجرة الزيتون) يطالعنا (ابو حامد) الانسان البسيط والعاشق لفأسه وزيتونته واهل بلده رغم اعوامه السبعين ... ومن خلال المجريات تلمح بضعة رجال بهيئات غريبة يقيسون ويدقون علامات واشارات عجيبة في ارض (أبي حامد) .

وعندما ينكرون على ذلك الانسان ملكيته لتلك الارض طالبين منه كوشان الطابو يهتف في وجوههم بانفعال :

(ولماذا الطابو وقبر جدي وجد جدي هناك ...

.. إسأل هذه الزيتونة ... إسأل تراب الارض ... شم رائحته انه ممزوج بدمي) .

غير ان منطق الاغراب لا يأبه بكلماته وتتنازل انسانيتهم في النهاية باعطاءه بقعة صخرية صغيرة ...

(أما الارض فستكون مستوطنة كبيرة يعمل في بنائها ابناء قريتكم) ..

لا يستوعب ابو حامد تلك المقولات .. لا يستوعب ان ينتزعوا منه كيانه الذي استخلصه قسرا من بين انياب الزمن ...

لتتجمع خيوط المأساة ... تتشكل راسمة قطرات من الدم النازف من زوايا الفم ...

... الصورة ادانه للاجهزة الكولونياليه التي تحاول تذويب ومصادرة انساننا الفلسطيني ...

المعادلة واضحة غير ان (محمد) يبتعد عن شقها الصدامي المستتبع حيث كان من الاجدى لو اختط العجوز لنفسه او حتى لاحفاده دربا آخر اكثر ثورية ونضالية في التعامل مع المحتل بدلا من الاندهال والحشرجه ... وان كنت هنا لا الوم الكاتب حيث انه يطرح صورا لمعطيات عجز ودوران المرحلة السابقة ..

★ في قصة (الاختيار) ينقلنا الكاتب الى ما بعد حزيران مباشرة حيث يطالعنا (عادل) انموذج الشاب الفلسطيني المخير بين مغادرة المنطقة فورا او التعامل مع الاحتلال ..

ومن خلال الصراعات والحواريات الذاتية الناشبة في اعماق بطلنا نتعرف على المزيد من احاسيسه ومشاعره حيث يوازن بين المنفى من ناحية او التعامل مع العدو من ناحية ثانية ليخلص الى نتيجة منطقية :

(عليّ ان اختار بين ان آكل نفسي او آكل لحم إخوتي واهلي ... وهل يمكن للحم الاخ ان يهضم ... سأظل افيء التعاسة على نفسي وعلى ابنائي ... سآكل نفسي إذن والاولاد لهم الله) ص ١١٦ .

تقود الصراعات بطلنا الى اختيار ثالث : السجن ... غير ان عدالة الاحتلال تأبى عليه حتى هذا المطلب ... دافعة به الى النزوح والمغادرة الجبرية ..

(كيف السبيل الى عمان .. لا بد ان يطلبني احد من هناك والا فسأظل اتعرض لمضايقات هذه الاو اللعينة) .

.. الكاتب ينقلنا الى تلك الفترة المأساوية من حياتنا حين كان لا يجد المرء امامه بدا من النزوح الاجباري ... وإلا ...... وحتى النزوح كان بعيد المنال اذا لم يات اسمك ضمن الكشوف الموافق عليها من عمان ... لذا راجت سوق الطلبات والهويات المزورة في تلك الايام ...

تمضي المجريات ... يصل عادل الى الجانب الاردني ... يتشكك الضابط الاردني ببطاقته الجديدة .. لا تقنعه التبريرات .. آمرا اياه بالعودة من حيث اتى .

يرجع (عادل) و (السجن ارحم) وفي زحمة معاناته ينسى معطفه وبطاقته داخل السيارة ولتظل الخواطر والصراعات تلفع اعماقه ..

(ان تدخل السجن هذا هو الحل اما الاختياران المطروحان فارفضهما) ..

وعندما يتنبه الى فقدانه لهويته (المزورة) بدهمه ما يشبه القلق ... وحالما يعثر على السائق يتمتم وقد وصل الى اختيار حقيقي واضح :

(ساختار طريقي ... ربما اوصلني الى السجن وربما الى ما هو ابعد من ذلك) ص ١٢٤ .

اختيار بطلنا هنا لم يات بصورة عفوية بل جاء كنتاج طبيعي لقناعة ذاتية ورؤيا متنامية تتعدى كافة المواقف والاختيارات المائعة ليصل الى مرحلة ابعد فى مقارعة الهجمة الاحتلالية والتصدي لها .

✱ فى قصة (الوحش) يختار الكاتب شريحة صغيرة كانموذج لواقع اشمل وارحب حيث نرافق (عبد الرحمن) فى رحلته الليلية الطويلة الى سوق القرية المجاور وتصارعه مع الوحش المخيف غير آبه بالفرار والعودة السالمة (والمال معوض) كما عاد غيره ...

الكاتب يرصد حجم وتاثير الافكار المتوارثة مؤكدا على ان الخوف من المجهول والتردد والعجز يلف اعماقنا لحظة الحسم الحقيقي لان قناعاتنا غير مستندة الى ارضية وقاعدة فكرية صلبة ...

من هنا بدت قناعة (عبد الرحمن) بالمجابهة قناعة لحظية مشوبة باللاوعي دونما برمجة او تخطيط ...

رب من يقول ان المواجهة كانت قدر (عبد الرحمن) ولم يكن امامه مفر من ذلك الاختيار غير ان هذا لا يمنع من التاكيد على ان القرية كلها كانت واقعة تحت تاثير موضوعة الوحش مما يعيد الى الذهن واقع البطولة الفردية دونما فعالية جماعية .. ولكم وددت لو اكتست رموز الكاتب واستلهاماته بذلك الزخم الايحائي الذي لمسناه فى (البذرة تتمرد) حتى تتميز اكثر فاكثر التعابير والصور الرمزية .

✱ فى (مروان على الباب) تمتد مسيرة انساننا الفلسطيني حيث زنازين الاحتلال والعتمة والعذابات ومحاولات التصفية ورغم ذلك يظل انساننا بوعيه النضالي واثقا بافضلية التغيير وحتميته وضرورته ...

✱ فى قصة (رسالتان من فيتنام) يتخطى القاص (حواجز القوميات الضيقة) فى التزامه بالدفاع عن كل المعذبين والتعاطف مع كل القوى المناضلة من اجل انتصار الانسان واندحار ادوات القهر والاضطهاد .. وعبر رسالتي الجندي الامريكي لامه نتحسس العديد من الاشياء حيث استحالت كل الآمال التي حاول سدنة النظام الامبريالي الترويج لها — رغم مذابحه البشعة — الى سراب فى ارض الفيتنام ..

وعبر الصور المتلاحقة تتبصر اطيافا لتساؤلات جديدة نامية فى اعماق ذلك الجندي :

(لقد جئنا من اجل خلاصهم من الخطر الشيوعي كما اقرا فى نشرات الاوامر اليومية وستسود العدالة ، ولكن هل فى مجتمعنا عدالة ؟) ..

(مسكين (ادوارد) لقد ضحى فى سبيل اوهام) .

(ما اصعب ان يموت الانسان بعيدا عن اهله وفى سبيل غاية لا يؤمن بها) .

وفى رسالته الثانية نجد تساؤلاته وقد اتخذت موقفا اكثر تحديدا مؤكدا لامه انه سيبقى فى الفيتنام يحمل الفاس ويفلح الارض : (لو كنت مطلعا اكثر ما تورطت فى المجيء الى هنا ولدافعت عن موقفي بقوة) .

.. الصورة إدانة لماكنة الحرب الامريكية وسدنة التنظير الفاشي لكن يظل الجانب الاخر المشرق .. تظل صورة المناضلين من اجل التقدم والسلام والحرية ... ولعل فى مقولة الجندي لامه :

(لم اصبح شيوعيا بعد ... اصبحت مناضلا من اجل السلام) دليلا على وعيه المتنامى والذى لا بد ان يصل الى مرحلة ابعد فيما بعد ...

✱ يتحسس الكاتب فى باقي اقاصيصه الكثير من المواقف الاجتماعية متلمسا العديد من المعالجات ..

فى « المستنقعات البشرية » يصل بطل القصة المازوم ، المتبرم بحياته ودنيا الآخرين الى نتيجة ذاتية بعد ان يلقي بالانشوطة التي حاول الانتحار بها :

(كان يجب ان تقاوم ... ان تزرع المستنقع باشجار من نوع جديد ... ان تزيل قاذورات هذا المستنقع) .

فى « المجرم الحقيقي » يسلط الكاتب كشافاته على قضية الصراع ما بين عقليتين متباينتين تسودان مجتمعنا المحلى وذلك عبر انموذج لعائلة تتميز علاقات افرادها بالتازم والتعقيد الاجتماعي ... بدور البرجزة تتلف شخصية الاب المحب للمظهرية والتقليد رغم وضعه الاجتماعي الشظف .. مما يجعلنا لا نستغرب رفضه لطلب الشاب الذي اراد خطبة ابنته كما لا نستهجن تصرفه حينما اجبر ابنته على العمل خارج البلدة ...

يطالعنا ايضا (محسن) الابن الذي يحاول قتل اخته لانها فرت الى من تحب ... . ولكم وددت لو توصل (محسن) بما يمثله من معاصرة حياتية الى اقتناع ذاتي شمولي يستطيع ان يرفض اوامر والده قاذفا البلطة جانبا بدلا من تصويبها نحو اخته ...

كلمة اخيرة :

بمجموعة (الوحش) وما يطرحه كاتبها من رؤى وصور متوهجة تكتمل اصابع اليد الواحدة حيث تنضم هذه المجموعة القصصية الى حلقة زميلاتها الاربع التي ظهرت فى المناطق المحتلة (خبز الآخرين — العودة — الولد الفلسطيني — العطش) .. مما يشير الى تنامي العطاء والتحام الكلمة الملتزمة بواقع وهموم انساننا الفلسطيني الذي يحاول الاحتلال عبثا مصادرة واذلال ارادته وقمع وتحجيم نضالاته وطموحاته ومكتسباته مما يؤكد على الآتي الذي لا مساومة او ريب فيه ...

زكي العيلة — غزة —

المصالح الحقيقية » ؟ ملاك الارض والتجار !

والثانية ــ واقعة وقعت فى العام الماضى فى بلادنا، فى أثناء الانتخابات للمجالس المحلية . وكانت جبهتنا الدمقراطية قد رشحت لرياسة المجلس المحلى فى قرية **كابول** العربية الكاتب المعروف والمربى **محمد علي طه .** ومحمد على طه لاجىء فى كابول من قرية ميعار المجاورة التى هدمها الحكام الصهيونيون وشردوا اهلها وصادروا اراضيهم . ومع ذلك فان منافسيه الرجعيين فى القرية لم يرعووا عن التنديد به لهذا السبب . قالوا : **انه لا يملك فى القرية اى شبر من الارض فكيف نأتمنه على الدفاع عن اراضينا ؟** لقد اجبناهم ، حينئذ ، الجواب الشافى وقلنا : **انه لا يملك ارضا يستطيع الناهبون ان يهددوه بنهبها او ان يسكتوه بالتعهد له بانهم لن ينهبوها . ليس لمحمد على طه ولرفاقه اية قطعة ارض من الوطن . ولذلك ليس امامه من طريق ومن امل الا ان يدافع عن الوطن كله . .**

وتقوم مبادىء الاممية البروليتارية على اساسين موضوعيين ومرتبطين :

الاول ــ انه فى مقدور الكادحين تحقيق تحررهم القومى والاجتماعى وعلى التصدى لجميع الامبرياليين والراسماليين وكل الغاصبين . ولكن الشرط الذى لا غنى عنه لتحقيق ذلك هو ان يحققوا الوحدة فى صفوفهم : انهم الاغلبية وبدونهم لا يستطيع اى مجتمع ان يعيش واى جيش أن يقوم .

والثانى ــ ان هذه الوحدة ممكنة التحقيق لان مصالح الكادحين من كل الشعوب والامم والاقطار واحدة فى النضال ضد كل مظهر من مظاهر التمييز العرقى والاضطهاد القومى والعدوان والاحتلال والتنكر لحق اى شعب من الشعوب فى تقرير مصيره بنفسه وفى السيادة القومية فى وطنه .

لقد كان **ماركس وانجلز** اول من اطلق الصيحة التى غيرت وجه العالم ــ « **يا عمال العالم اتحدوا** » ! **ولينين** ، فى عصر الثورات الاشتراكية ، هو الذى ارشد الشعوب والامم المظلومة الى معين قوتها الذى لا ينضب . فجعل هذا الشعار على الوجه التالى :

« يا عمال العالم وايتها الشعوب المظلومة اتحدوا » ! فليس يكفى ان تكون وطنيا صادقا بل عليك ان تختار الطريق المجدى نحو تحقيق اهدافك الوطنية الصادقة . عليك ان تحشد الطاقات الوطنية (ان تخلص اكثرية شعبك الكادح من مشاعر (الاغتراب فى الوطن) وان تحشد الطاقات الدولية (ان تخلص قضيتك الوطنية من الاغتراب فى عالم الثورة) . فالاممية البروليتارية تلزم عمال العالم ، وخصوصا اولئك الذين تسلموا مقاليد شعوبهم ودولهم ــ الاقطار الاشتراكية ــ بان يمدوا يد العون الى الشعوب المظلومة . وهم يفعلون ذلك . ولا تلزم الاممية البروليتارية هذه الشعوب الا بان لا تسمح للامبرياليين وللراسماليين بان يعضوا هذه اليد ــ فى مجال المواقف الداخلية وفى مجال المواقف الخارجية .

ولقد وجدت انه من الضرورى الاستفاضة فى توضيح الامر المميز للطريق الجديد ــ الاممية البروليتارية ــ عن الطريق القديم الفاشل ــ القومية البرجوازية ــ لان هذا الامر المميز هو ما تفتقر اليه العديد من الدراسات عن تاريخ الحزب الشيوعى الفلسطينى ومنها الدراسة التى نحن بصددها الان .

وهنا نأتى الى الملاحظات المبنية على دراسة احمد فرحان .

فاول ما يثير الدهشة هو العنوان الذى اختاره لدراسته ــ « **الحزب الشيوعى الفلسطينى ضحية التطرف القومى المزدوج** » !

ان الامر المثير للدهشة فى هذا العنوان ، ان الباحث الفلسطينى احمد فرحان **يساوى ــ هكذا ، بجرة قلم ، بين التطرف القومى الفلسطينى وبين التطرف القومى الصهيونى** . لقد رفضنا نحن الشيوعيين العرب واليهود ، دائما وطول الوقت والان ايضا ، المساواة بين الامرين . **فمع معارضتنا لكل تطرف قومى فاننا ميزنا ونميز بين القومية الموالية للامبريالية ــ قومية الصهيونية ــ التى تتنكر لحقوق الشعب العربى الفلسطينى وبين القومية المعادية للامبريالية ، قومية الشعب المعتدى عليه والذى اجلى عن وطنه ــ الشعب العربى الفلسطينى** . والامين العام لحزبنا الشيوعى ، ماير فلنر ، اوضح هذا الموقف الماركسى ــ اللينينى فى كتيب خاص اصدره فى العام ١٩٦٦ واضاف : « **نحن الشيوعيين وجميع القوى التقدمية فى اسرائيل ، نتفهم كل التفهم مشاعر الشعوب العربية وعلى وجه الخصوص مشاعر الشعب الشقيق ، الشعب العربى الفلسطينى الذى يعيش فى مخيمات اللاجئين فى اوضاع غير انسانية . ان شعور النفور من الاوساط الحاكمة فى اسرائيل هو شعور مفهوم تماما ومبرر كليا . غير ان هذا الشعور يجب الا يقود الى نتائج متطرفة وضارة** » .

وليس سرا ان النظرية الاساسية التى رفضناها، وباسمها حاول المنشقون (**جماعة ميكونس وسنيه**) ان يشقوا حزبنا ، هى نظرية ان الصراع الاسرائيلى العربى هو صراع بين قوميتين وبين التطرف القومى الذى يميز كلا منهما .

رفضنا دائما هذه النظرية شبه الصهيونية والتى سرعان ما قادت اصحابها (المنشقين) الى الغرق

فى مستنقع الصهيونية نفسها .
ان تاريخ حزبنا ، منذ نشوئه فى فلسطين وحتى يومنا هذا ، يتميز عن جميع الاحزاب والمنابر السياسية التي ظهرت فى بلادنا فى انه دائما وقف فى وجه تلك الاراء (والممارسات ايضا) التى ارادت ان ترى الصراع فى فلسطين مجرد صراع بين قوميتين . لقد كان الصراع الاساسي ولا يزال صراعا **ضد الامبريالية** (بريطانية ثم امريكية) حاولت ، ولا تزال ، ان تثبت مراكزها ومراكز اعوانها فى شرقنا بسياستها التقليدية، سياسة « **فرق تسد** » سيئة الصيت . انه صراع من اجل التحرر الوطنى للشعب العربى الفلسطينى ولجميع الشعوب التى تقطن هذه الرقعة العريقة .

ومن منطلق وطنيتنا البروليتارية ، التي هي فى اعتبارنا وكما اثبتنا بتجربتنا ، نحن انفسنا ، اعلى مراتب الوطنية ، انتهجنا سياسات وممارسات كان هدفها دائما التصدى لهذه السياسة الكولونيالية والامبريالية وحشد العرب واليهود فى جبهة واحدة — جبهة التحرر الوطني والاجتماعى .
اما الصهيونية فقد اصبحت ، سياسة وممارسة ، **شريكا للامبريالية واداتها الرئيسية** . واما القيادة العربية القديمة (الرجعية) فلم تستطع ان تخرج ، ولا تستطيع حتى الان ويبدو انها لن تستطيع ابدا ، الخروج من نطاق « الوساطة » الامبريالية والوهم الطبقى الضيق بأنها تستطيع ، بتقديم التنازلات الى الامبريالية ، ان تحل محل الصهيونية فى تلك الشراكة او ان تكون **الزوجة الثانية** . وانه لمنظر مأساوى حقا ان نرى **انور السادات** يعود الان ، بدون ان يغير حرفا واحدا ، الى الممارسات المأساوية التى مارستها قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية فى الاربعينات (بدعم الملوك والشيوخ والبشوات العرب) فى مؤتمرات الموائد المستديرة وغير المستديرة فى **لندن** . ان الانتقال الى **كامب ديفيد** هو مجرد **تغيير موقع لا تغيير موقف !**

وبتركيزنا على العدو الاساسي — الامبريالية — لم نتجاهل ، ولا نتجاهل الان ، **دور الصهيونية العدواني** ، فى محاولة اقتلاع شعب من وطنه وفى الاحتلال والتوسع . بل نريد ان نسجل لصالح حزبنا انه كان اشد الفئات السياسية تنبها لهذا الخطر وتحذيرا من الممارسات التوجيهية العقيمة التى لم يكن من شأنها الا ان ترمى جماهير اليهود فى فلسطين فى احضان الصهيونية موهمة اياهم — بجريرة مواقف عربية مزايدة — بانه لا حياة لهم الا بالحديد والنار .
ونرى الان مصير المواقف القومية البرجوازية ، التى لم يتردد اصحابها دائما فى تقديم التنازلات للعدو الامبريالى رافضين (علنا ، واما فى السر فالامر مختلف جدا . .) طرح برنامج وطنى فلسطينى يضع امام جماهير اليهود فى فلسطين بديلا دمقراطيا ايجابيا عن طريق الصهيونية والامبريالية . فباسم هؤلاء جميعا زحف انور السادات على ركبتيه الى الكنيست الاسرائيلية وبصم باصابعه العشر على التزييف الصهيونى التاريخى بان اساس النزاع (او سبعين بالمئة منه . .) هو **ان العرب كانوا يريدون القاء اليهود فى البحر** والان جاء انور السادات ليطمئنهم بان العرب تخلوا عن هذا « **الهدف** » . . . وهكذا « **انتهت** » المشكلة !!

لا داع لان نتحاكم الان : هل كان من الممكن ان يكون التطور فى فلسطين غير ما هو عليه فى الوقت الحاضر . ولكن امرين اثنين لا يستطيع دارسو التاريخ ان يتجاهلوا العبرة منهما . **الاول** — ان الزعامة التقليدية (الرجعية) رفضت بعناد ، فى الماضى ، الاحتكام الى الرأي العام العالمي . لقد هرعوا ، فى العام ١٩٤٦ ، الى الاحتكام امام **لجنة التحقيق الانجلو — امريكية** . فلما ارسلت الامم المتحدة ، بقرار خاص ، **لجنة لتقصى الحقائق قاطعوها وفرضوا علينا جميعا ، بالارهاب ، مقاطعتها . وهذا ما يقوم به الان انور السادات ، باسمهم جميعا ، باصراره على محادثات كامب ديفيد وبمقاومته محادثات جنيف .**

والثانى — ان هذه الزعامة الرجعية (وبدفع مباشر من كل الرجعيات العربية الحاكمة آنذاك فرضت على الشعب العربى الفلسطينى ، باسمه وبدون مشاورته ، ان يقول « **لا** » لكل حل معاد للامبريالية ، لكل حل عادل وعقلاني كان يستطيع ان يوقف مأساة الشعب العربى الفلسطينى عند حد من الحدود وان يظلله بعلمه المستقل وان يحفظ له موطىء قدم فى وطنه . ولم يطلبوا منه ان يقول « **نعم** » الان ، الا لذلك الحل الذى يزيله من الوجود قوميا وسياسيا .
الشيوعيون فى فلسطين ، وفى اسرائيل لاحقا ، لم يطلبوا من الحركة الوطنية الفلسطينية ، او العربية عموما ، ان تعقد الصفقات او ان تجرى التنازلات مع القيادات الصهيونية . وانما دعونا ، وندعو الان ، الى ان يكون القرار — وكما يقول **ياسر عرفات** نفسه — « **قرارا فلسطينيا** » ، اي قرارا يعتبر الوضع الفلسطينى الخاص ويضع امام الشعب اليهودى الاسرائيلى البديل الدمقراطى عن الصهيونية وحراب الامبريالية . لقد رأينا فى الحركة الوطنية الفلسطينية ، ونرى فيها الان ايضا ، الحركة الاساس فى النضال من اجل التسوية العادلة ، المعادية للامبريالية ، فهي المدعوة الى وضع الحل الايجابي للقضية القومية فى مواجهة العدوان الصهيونى — الامبريالى .

كذلك يثير الدهشة ، في العنوان المذكور اعلاه ، ان **احمد فرحان** اعتبر حزبنا « **ضحية** » ! لسنا ضحية الا بمدى ما هو شعبنا العربي الفلسطيني نفسه والجماهير اليهودية الاسرائيلية ضحية .

ولقد حاولت الامبريالية ، وهي مستمرة في محاولتها ، ان توقع فينا الضحايا . ومن العجيب ، حقا ، ان معظم الدراسات التي ظهرت عن تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني تتجاهل واقعة لها دلالتها الكبرى وهي ان سلطة الانتداب البريطاني في ايامها الاخيرة في فلسطين ، وبعد ان دفعت الوضع الى الفوضى العامة ، لم تجد شيئا في فلسطين « **يخل بالامن العام** » سوى صحيفتنا « **الاتحاد** » فاوقفتها عن الصدور ، والغت ترخيصها . **ليس الا لانها كانت الصحيفة الوحيدة (العربية) التي كشفت عن كل المؤامرة الحاكة ضد الشعب العربي الفلسطيني ودعت الى وقف الاقتتال اليهودي العربي والى توجيه المعركة ضد الامبرياليين** . كانت « الاتحاد » الصحيفة الوحيدة التي دعت الى السلام العربي اليهودي ، الى السلام في فلسطين . فاوقفتها سلطات الانتداب !

وعلينا ان نلاحظ ان غالبية الدراسات عن تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني **تهمل البحث في دور سلطات الانتداب البريطاني في تاجيج الاحتراب الدموي في فلسطين بل وبافتعاله في احيان كثيرة** . ويستطيع ابناء جيلي ، ممن بقوا على قيد الحياة ، ان يحكوا عما شاهدوه باعينهم من مباذل الجيش البريطاني في هذا المجال .

اما وهذه هي الحالة لدى معظم اجيالنا الجديدة المتنورة فمن الصعب ان نلوم احمد فرحان على انه اورد في دراسته الفقرة التالية : « **اما مجموعة فؤاد نصار — اميل حبيبي ، التي اخذت موقفا مؤيدا للتقسيم ، فاخذت تحرض ضد (الغزو العربي) بعد ان دخلت الجيوش والقوات العربية الى فلسطين** » . . .

هذا الكلام ساقط تاريخيا من اوله الى اخره .

فلم تكن هناك مجموعة « **اخذت موقفا مؤيدا للتقسيم** » بل **عصبة التحرر الوطني** كلها وقفت هذا الموقف بعد ان رات عمق المؤامرة الحاكة ضد الشعب العربي الفلسطيني لاقتلاعه من وطنه وفداحة الخيانة التي اقدمت عليها الانظمة الرجعية القائمة في البلدان العربية آنذاك . لا يمكن دراسة تاريخ حزب سياسي باهمال الاوضاع السياسية التي عمل هذا الحزب في ظلها . **فلماذا يتناسون ان الجامعة العربية آنذاك عينت الملك عبد الله الاردني قائدا عاما للجيوش العربية التي دخلت فلسطين لا لتحريرها بل لمنع قيام الدولة الفلسطينية في القسم المخصص لها من فلسطين ؟!**

وكان هذا القائد العام ، في اثناء قيادته ، يقابل غولده مئير مرة ومرتين ويتفق معها على اقتسام القسم المخصص للدولة العربية الفلسطينية .

ولم « نحرض » ضد « الغزو العربي » ولا اذكر ان هذا التعبير ورد في اية نشرة من نشراتنا . ولكننا شجبنا ما جرى من ترحيل الشعب العربي الفلسطيني في ظل الجيش الاردني (طبريا وصفد واللد والرملة مثلا) وتسليم المثلث الى اسرائيل في اتفاقية رودس وما كانت اذاعة الملك فاروق تعلنه عن « بطولات غزو قرية اسدود » . وهل ، حقا ، لا يعرف الجيل الجديد كلمات الاسى التي كانت تنطلق من افواه الضباط والجنود العراقيين حين كان يسألهم القرويون العزل من السلاح : لماذا لا تدافعون عنا ؟ فكانوا يجيبون : ماكو اوامر ! ؟

لقد طلبنا من ضباط وجنود البلدان العربية ان يحولوا حرابهم نحو حكوماتهم الرجعية المتآمرة مع الاستعمار على شعب فلسطين . وسرعان ما فعلوا ذلك . لقد هزهم زلزال المأساة الفلسطينية فقوضوا العروش العفنة وفجروا عهدا جديدا واعدا في الاقطار العربية .

ونعتقد انه الان ، وقد كشف انور السادات عن عورة الرجعية العربية وتحاول فصائل منها ، وعلى الرغم من ذلك ، الاستمرار في التظاهر بوطنيتها وبقوميتها ، من الضروري التعمق بدراسة الدور الخياني ، بل الاجرامي ، الذي قامت به الانظمة الرجعية العربية في الاقطار العربية في العام ١٩٤٨ : **ماذا فعلت في فلسطين وماذا فعلت بفلسطين ! ؟**

لقد التجا **احمد فرحان** الى دراسات باحثين سبقوه الى الكتابة في هذا الموضوع . فاذا اخطاوا اخطا . وقد اخطاوا في العديد من الوقائع . ولقد قام **الحزب الشيوعي الاسرائيلي** ويقوم الان بنشر دراسات عن مراحل معينة من تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني . ولا اجد نفسي مخولا او قادرا على التعليق على جميع الاخطاء .

ولكن ، وحتى لا يبقى الامر في صدور الرجال ، ارى من الضروري تصحيح الوقائع التالية : —

— الخلاف الذي وقع في الحزب الشيوعي الفلسطيني في العام ١٩٤٣ لم يكن سببه الاشتراك او عدم الاشتراك في الاحتفال باول ايار بل حول موعد الاضراب الذي قرره عمال معسكرات الجيش البريطاني ، العرب واليهود . لقد **حاولت الهستدروت ان تحتكر قيادة هذا الاضراب بدون ان تشارك جمعية العمال العربية الفلسطينية في قيادته** . وبالفعل فاجات العمال باعلان الاضراب من جانب واحد .

— ليس صحيحا ان الحزب ، على اثر ذلك ، انشق الى ثلاث مجموعات وان المجموعة الثالثة ساهمت بتاسيس عصبة التحرر الوطنى . انما **الذى ساهم بتاسيس العصبة هم الشيوعيون العرب جميعا .**

— ليس صحيحا ان المرحوم رضوان الحلو (موسى) انشأ مع شيوعيين يهود « **الاتحاد التربوى الشيوعى** ». **ليست لرضوان الحلو اية صلة بهذا الاتحاد** الذى لم يعمر طويلا .

— ليس صحيحا ان نظام العصبة الاساسى « **نص على ضرورة انشاء حزب مبنى بكامله على الاسس الشيوعية** » . انما كان واضحا منذ البداية ان **العصبة هى تنظيم وطنى دمقراطى وان الشيوعيين يعملون فى داخله** فى الاوضاع المعقدة التى نشات على اثر انشقاق الحزب الشيوعى الفلسطينى .

— صحيح ان عددا قليلا من قيادة العصبة ترددوا فى تأييد قرار التقسيم ، الذى نص على انشاء دولتين مستقلتين فى فلسطين تربط بينهما وحدة اقتصادية — دولة عربية ودولة يهودية — . ولكن الاسماء المذكورة ليست صحيحة كلها والاهم ان الاكثرية الساحقة فى اللجنة المركزية وفى جميع تنظيمات العصبة ايدت قرار الامم المتحدة منذ اللحظة الاولى ونبهت الى ان **الصهيونية انما تتظاهر بتأييد هذا القرار وهى تعمل على الغائه وعلى التوسع وعلى اجلاء الشعب العربى الفلسطينى عن بلاده** . ومؤتمر العصبة فى الناصرة لم يعارض قرار التقسيم بل ايده بالاجماع ، ولم يعقد بعد ذلك اى مؤتمر للعصبة لا فى يافا ولا فى غيرها . فالمعلومات التى اوردها احمد فرحان فى هذا المجال خاطئة كلها .

كذلك ليس صحيحا انه كان هناك نشاط لبضعة الرفاق الذين ترددوا فى تأييد قرار الامم المتحدة ، لا فى مؤتمر العمال العرب ولا فى رابطة المثقفين العرب (الموجودة منذ عام ١٩٤٤) ولا فى يافا ولا فى حيفا ولا فى غيرها . ان معلومات احمد فرحان هنا تدعو الى الدهشة .

ومن غير الممكن الانتهاء من هذه الملاحظات السريعة بدون العودة الى مستهل دراسة احمد فرحان حيث يقرر — دون اى تبرير — ما يلى : — « **يعود الحزب الشيوعي الفلسطيني فى نشوئه ، اساسا ، الى يسار الحركة الصهيونية ويعتبر امتدادا لها ونتيجة لصراعاتها . وظل محكوما بمازقها التاريخى ، رغم كونه يشكل نقيضا نظريا لها** » .

كيف لم يلاحظ احمد فرحان ان نهاية جملته هذه تنقض بدايتها ؟ الا اذا كنا نجابه هنا ترجمة عربية لدراسات معادية لنا . ويستطيع هذا الاستنتاج ان يفسر العنوان العجيب الذى اختاره لدراسته .

اما ان يكون مهاجرون يهود هم الذين حملوا الاشتراكية العلمية الى فلسطين فهذا امر لا يعيب الشيوعية ولا يعيب العرب ولا يعيب اليهود . والغزو الكولونيالى البريطانى فى الهند ، مثلا ، قد حمل اليها صناعات اوجدت اوائل الطبقة العاملة فى الهند . فهل لسبب ذلك ، علينا ان نعتبر الطبقة العاملة الهندية ، او الطبقة العاملة الفيتنامية ، ظاهرة « اجنبية » ؟!

اما اعتبار الحركة الشيوعية فى فلسطين « **امتدادا للحركة الصهيونية** » وان **الحزب الشيوعى الفلسطينى « ظل محكوما بمازقها التاريخى** » فهو ، ببساطة ، شبيه بالاعتبار الفلسفى ان « نفى **النفى هو امتداد للنفى** » ، ولكنه يظل نفيا له . وانشاء خطوط السكك الحديدية فى العديد من بلاد الشرق هو « **امتداد** » للكولونيالية ادى الى نشوء الطبقة العاملة التى بنموها وبوحدتها وبوعيها تنفى وجود الكولونيالية نفسها . وقديما انتبه **كارل ماركس الى ان الراسمالية، بانشائها الطبقة العاملة ، تقيم حفار قبرها بيدها .**

يقينا ان الصهيونية فى مازق تاريخى . بل هى فى اكثر من مازق . انها تقف امام باب موصد فيما يختص بمستقبل الشعب الاسرائيلى نفسه ومستقبل الدور العدواني الذي اعدته الامبريالية لدولة اسرائيل . **ولكن الحركة الشيوعية غير محكومة بهذا المازق** لانها الحركة الوحيدة التى فى مقدورها ان تضع ، وتضع ، المخرج لشعب اسرائيل نفسه ولشرقنا من هذا المازق الدموى . ونقاشنا الاساسى ، فى هذا المجال ، مع القومية البرجوازية انها فشلت وغير قادرة (طبقيا) على اخراج شرقنا وشعبنا العربى الفلسطينى من هذا المازق الدموي . ان الشيوعيين الفلسطينيين ليسوا ضحية بل هم الحركة الوحيدة التى اثبت كل التطور فى تاريخ القضية الفلسطينية ان موقفها الاساسى وخطها العام هما الوحيدان الصحيحان .

واذا تغاضينا عن الفوارق الجذرية فى الامثلة التالية نستطيع ان نقول ، وبكل اطمئنان : كما ان حركة التحرر الوطنى الجزائرية الباسلة ادركت واجبها ، ومن اجل نفسها ايضا ، فى ان تضع مخرجا دمقراطيا وايجابيا امام المستوطنين الفرنسيين ، وكما ادركت الحركة الوطنية التقدمية فى العراق هذا الواجب بالنسبة الى كردستان العراق ، فان **منظمة التحرير الفلسطينية** — الممثل الشرعي الوحيد والمعترف به وطنيا وعالميا للشعب العربى الفلسطينى — ستتوصل الى المزيد من الوضوح فى هذا الادراك ، الصادر عن اسمى المسؤولية الوطنية ، بمدى ما تترجم الى الواقع اصرارها على ان يكون القرار فلسطينيا .

اميل حبيبى — براغ

❋ منشورات صلاح الدين تواصل مسيرتها ❋

● منشورات صلاح الدين في القدس المحتلة تواصل مسيرتها الحضارية التقدمية وتغني المكتبة باعمال جديدة في كافة مجالات الابداع . وقد صدرت عنها في الاونة الاخيرة عدة مطبوعات منها : الجزء الاول من « تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث » للدكتور اميل توما ، وتعتبر هذه الدراسة ردا على المحاولات الامبريالية لتزييف تاريخنا وتراثنا .

صدرت ايضا عن منشورات صلاح الدين رواية « عرس بغل » من روائع الكاتب الجزائري الكبير الطاهر وطار .. ودراسة للباحثين أحمد صادق سعد وعبد القادر ياسين حول « الحركة الوطنية الفلسطينية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٠ » .. ودراسة عن قضية الوحدة العربية للكاتب محمد شحادة .. وفي المجال الادبي اصدرت المجموعة القصصية الممتازة « اوراق شاب عاش منذ الف عام » للكاتب المصري جمال الغيطاني .. وفي برنامج منشورات صلاح الدين اعمال اخرى كثيرة تصدر تباعا .

❋ منشورات جديدة تصدر عن دار الكاتب » ❋

● « دار الكاتب » التي تنشط في القدس المحتلة أصدرت دفعة جديدة من منشوراتها التقدمية بينها : الشفيع ـ حياته ونضاله ، رسائل فاطمة ابراهيم ـ قدم لها حسن الطاهر زروق وفي هذا الكتاب الصغير زخم كبير يعكس معاناة الشعب السوداني البطل المناضل في ظروف صعبة للغاية دون ان يفقد الثقة بالمستقبل الزاهر . وللكاتب اكرم هنية اصدرت الدار مجموعة قصصية بعنوان « السفينة الاخيرة ـ الميناء الاخير » تضم ٨ اقاصيص ، وكانت « دار الكاتب » قد نشرت ايضا ١٤ اقصوصة للكاتب محمد ايوب بعنوان « الوحش » الى جانب اعمال ثقافية وادبية اخرى هامة .

❋ أعمال جديدة لعلي الخليلي ❋

الكاتب والشاعر الفلسطيني علي الخليلي يواصل نتاجه الخصب في مجالي الشعر والبحث فبعد ديوانه « جدلية الوطن » الصادر عن « الاسوار » في عكا صدرت له دراستان هامتان هما : « اغاني الاطفال في فلسطين » الصادرة عن منشورات صلاح الدين ، و « البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية » الصادرة عن « مؤسسة ابن رشد » في القدس المحتلة .

❋ اسهامات أخرى في حياتنا الثقافية ❋

● الكاتب الفلسطيني عبد الله تايه ، صدرت له رواية بعنوان « الذين يبحثون عن الشمس » ، من منشورات « وكالة ابو عرفة للصحافة » في القدس المحتلة. والكاتب معروف بنشاطه في مجال القصة القصيرة ولعل هذه هي روايته الاولى ● الرفيق الدكتور سليمان بشير صدرت له مجموعة مقالات بعنوان « مداخل جديدة لدراسة القضية الفلسطينية تتناول جملة من المسائل المطروحة للنقاش في هذا الاطار ومن مختلف الجهات ● «ولا بد لاقيد ان ينكسر » كتاب وثائقي ـ ادبي بقلم المحامي وليد الفاهوم يعرض فيه للمحمة سجناء الحرية الفلسطينيين تحت الاحتلال الاسرائيلي. طبع الكتاب في مطبعة الجليل بعكا ● « البحث عن اجنحة » مجموعة شعرية جديدة (٢٢ قصيدة) للشاعر الدكتور فهد ابو خضرة . صدرت المجموعة عن « الشرق » ـ جامعة حيفا ● « دموع لا تجف » الديوان الجديد للشاعر جورج نجيب خليل . يضم الديوان ٢٧ قصيدة عمودية (١٢٨ صفحة) . طبع الديوان في مطبعة الحكيم ـ الناصرة ● الشاعر ناجي ظاهر ، صدرت عن دار الاسوار في عكا مجموعته الشعرية الاولى بعنوان « البحث عن زمن اخر » (٢٥ قصيدة) ●

فاز الشاعر ادمون شحادة في مسابقة مسرحية محلية ، وصدرت له عن دار « الشرق » ـ جامعة حيفا ، مسرحية جديدة بعنوان « الصمت والزوال » ، وكان قد نشر قبلها ثلاثة اعمال اخرى في الشعر والمسرح ● في الادب وفنونه (الاسطورة ، الملحمة ، المسرحية ، الرواية) مجموعة نصوص جمعها واعدها الاستاذان حبيب بولس وزكي درويش وصدرت عن مكتبة ومطبعة السروجي في عكا .. وكان الكاتبان قد أصدرا مجموعة « الوان من القصة القصيرة » في اطار « سلسلة الادب العالمي» ، ايضا عن « مكتبة ومطبعة السروجي للطباعة والنشر » في عكا ، ويعدان اعمالا اخرى في هذا الاتجاه .

❋ تكريم الشاعر ميشيل حداد ❋

بمناسبة بلوغه الستين وبمناسبة صدور ديوانه الخامس هاتذا ايها السيد وديوانه المترجم الى العبرية « تراكمات » الذي اعده وقدم له البروفيسور ساسون سوميخ رئيس قسم اللغة العربية في جامعة تل ابيب ، اقيمت في بيت الكرمة بحيفا حفلة تكريم للشاعر والمربي ميشيل حداد وتكلم في الندوة عن الشاعر واعماله رئيس تحرير الجديد الشاعر الرفيق سميح القاسم والشاعر رشدي الماضي والكاتب عرفان ابو حمد والبرفيسور ساسون سوميخ . وقرا الشاعر ميشيل حداد عددا من قصائده الجديدة ، مجلة «الجديد» تتمنى للاستاذ ميشيل عمرا مديدا ومزيدا من الابداع الشعري في خدمة شعبنا ووطننا وقضية السلام والحرية .

صــــدر عــن

منشورات الاسوار ـ عكا

❋ المقاومة العربيــة فى فلســطــين	دراسة ناجى علوش
❋ ناظــم حكمــت السجن ـ المرأة ـ الحيــاة	بقلــم حنــا مينــه
❋ عــرس بغــــل	رواية الطاهر وطــار
❋ لعبــة الحــب والثــورة	مسرحيــة رياض عصمــت
❋ أقمــار فى دروب الليــل	شعر جمــال قعــوار
❋ ريحــة الوطــــن	قصص حنــا ابراهيم
❋ كــانت السمــاء زرقــاء	رواية اسماعيل فهد اسماعيل

وقريبا سلسلة علماء العرب
سلسلة مصورة رائعة للطلاب .

(اعــلان)

لن نفرط بالارض والمـأوى

لا سلام بدون حقوق الشعب العربي الفلسطيني

البدايـة

سأل طفل صغير أمه : من ايـن اتيت ؟ واين ظفرت بي ؟.. وأجابت أمه ، يتجاذبها ضحك وبكاء ، ضامة طفلها الى صدرها : لقد كنت مختبئا في قلبي ، كنت رغبته يا حبيبي .. كنت بين دمى طفولتي ، وفي كل صباح ، حين كنت أسوي من الصلصال تمثال ربي ، فقد كنت أنت الذي أسويه ثم انقضه.. كنت فوق المذبح ، الى جانب نصب بيتنا ، وكنت اعبدك ، فيما كنت اتجه اليها بعبادتي ..

طاغور